قواعد اللغة بين آراء النحاة وآيات القرآن

أ.د/ نجيب علي عبد الله السودي

أستاذ اللغويات المشارك – جامعة تعز – اليمن

مُقَدِمَةٌ :

من المعلوم المشتهر بين المهتمين بعلوم العربية أنّ النحاة أول ما استهلوا جهودهم في تأسيس قواعد للعربية كان ذلك لغرض خدمة القرآن الكريم وحماية الناس من الوقوع في اللحن فيه.

حيث تشير الروايات إلى أن البدايات كانت على يد الإمام علي رضي الله عنه ، وذلك عندما سمع وهو في العراق رجلًا يلحن في القرآن فرجع إلى بيته مهمومًا فجاءه أبو الأسود الدؤلي فرآه مطرقًا مفكرًا؛ فسأله : فيم تفكر؟ فقال له : سمعت ببلدكم لحنًا فأردت أن أصنع كتابًا في أصول العربية . ثم أتاه بعد أيام فألقى الإمام علي لأبي الأسود صحيفة فيها " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الكلام كله اسم وفعل وحرف؛ فالاسم : ما أنبأ عن المسمى ، والفعل : ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف : ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا حرف . ثم قال له : اعلم أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر ، ثم قال له : انحُ هذا النحو " وتمضي الروايات فتذكر أن أبا الأسود الدؤلي جمع لعلي رضي الله عنه أشياء وعرضها عليه ، يقول القفطي:(رأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءًا فيه أبواب من النحو يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب أخذها عنه أبو الأسود الدولي) [1]

وجاء بعد أبي الأسود تلاميذه البصريون الذين تولوا إضافة جزئيات هذا العلم الذي أطلق عليه علم النحو ، وهو عبارة عن قواعد وضعها هؤلاء العلماء استنباطاً من الشواهد المتاحة بين أيديهم من أشعار العرب وخطبهم ونثرهم وكلامهم الذي جمعوه من أفواه الأعراب ، فجاءت جهودهم بعلم غزير فقعّدوا وأصّلوا وسمعوا وقاسوا ، وكتبوا لنا هذه القواعد والأصول وما سمعوه وما قاسوه حتى وصل إلينا مما كتبوه الشيء الكثير.

وأمام هذا العطاء الكبير والكم الهائل من الكتب المدوّن فيها قواعد اللغة المستشهد عليها من كلام العرب فنجد أنفسنا أمام ملاحظة مهمة أحوجتنا للتوقف أمامها والتأمل فيها؛

هذه الملاحظة هي أن علماء النحو في أثناء تقعيدهم للغة وجهوا اهتمامهم إلى أشعار العرب ولغاتهم وجعلوا منها معيارًا للفصيح من اللغة يقيسون عليها ، فما وافق ما علموه منها فهو الفصيح وما خالفه فهو لحن وإن كان ذلك في القرآن الكريم .

لقد احتكم نحاتنا كما يقول العلّامة مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة[2] إلى أقوال الآحاد من العرب وإن كان مجهولاً ، وعدت أبيات الشعراء مرجعًا يرجع إليه؛ ولذلك نجد أن كثيراً من النحاة يمنعون شيئاً لأنه لم يرد في كلام العرب، ولو نظروا في القرآن الكريم وتتبعوا آياته لوجدوا ما منعوه حاضراً ، يقول الفخر الرازي : " أنا شديد العجب من هؤلاء النحويين، إذا وجد أحدهم بيتاً من الشعر ولو كان قائله مجهولاً يجعله دليلاً على صحة القراءة، وفرح به، ولو جعل ورود القراءة دليلاً على صحته كان أولى"[3]

وقال النضر بن شميل : " إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه "[4]

ويحاول هذا البحث أن يعرض بين يدي القارئ بعضاً من الملاحظات والاستدراكات على النحاة منذ سيبويه إلى ابن هشام في بعض ما قعدوه للغة، مع تنبيهنا الشديد أن هذا الأمر لا يعد انتقاصًا في حق علمائنا الأجلاء، وليس معناه أن نبخس شيوخنا الأوائل نصيبهم من التفوق الهائل الذي يذهل العقول ولكن معناه أن الأساس الذي أسسوه في أزمنتهم المتطاولة كان ينقصه الحصر الدقيق لكل ما جاء في القرآن الكريم .

لقد كان هذا الحصر الدقيق – على ما يبدو لي - خارجاً يومئذ عن وسعهم، أما في أيامنا هذه فبرامج الحاسوب تقوم بالعجائب، والناظر في كتب القدماء لا يخطئه أن يرى أنهم قاموا بحصر غير تام مع أن ما قاموا به هو في ذاته عملٌ فوق الجليل وجهد فوق الطاقة .

استقراء النحاة لقواعد اللغة في القرآن الكريم :

إن هذا العنوان يضعنا أمام تساؤل مشروع وهو: هل كان للنحاة استقراء للقرآن الكريم ؟ ولو رجعنا بدورنا إلى كتب النحو لوجدنا فيها رجوعاً إلى القرآن الكريم في بعض المسائل من ذلك مثلاً :

---

[1] -القفطي : جمال الدين - إنباه الرواة في أنباء النحاة – ت محمد أبو الفضل – دار الكتب المصرية – ١٩٥٠م - ج ١ ص ٩٦ .

[2] - عضيمه : محمد عبد الخالق –دراسات لأسلوب القرآن الكريم – ط١–دار الحديث –القاهرة -١٩٧٢م – ج ١ ص ٣ .

[3] - الفخر الرازي : محمد بن عمر – التفسير الكبير – ط١ – دار الفكر – بيروت – ١٩٨١م – ج ص .

[4] -أبو حيان : محمد بن يوسف - البحر المحيط – ت عادل عبد الموجود – ط١ – دار الكتب – بيروت – ١٩٩٣م - ج ٧ – ص٤٦.

قول سيبويه في الاستثناء المنقطع : (هو كثير في القرآن)[٥]
ما استشهد به الزجاج في وجوب توكيد المضارع بعد (إن) الشرطية المدغمة في (ما) أي (إمّا) بقوله " (لأنه لم يقع في القرآن إلا مؤكداً)[٦]
ما قاله ابن مالك عند حديثه عن إلغاء (إذن) قال : (والغاؤها (إذن) أجود وهي لغة القرآن التي قرأ بها السبعة في قوله تعالى " وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً ")[٧]
وكذا قول الرضي : (ولم يأت في الكتاب العزيز أن يكون الشرط مضارعاً ، والجواب ماضياً)[٨]
وقول ابن هشام عن واو المعية : (ولم يأت واو المعية في القرآن بيقين)[٩]
وقوله في باب النداء : (ليس في التنزيل نداءٌ بغير يا)[١٠]
وقوله : (جرُّ (لدن) بمن أكثر من نصبها ، حتى إنها لم ترد في التنزيل منصوبة)[١١]

خطأ بعض النحاة في حصر ما جاء في القرآن من آيات :

نجد في كتب النحو بعض النحاة وهو يستقرئ آيات القرآن الكريم يُخطئ في حصر ما جاء في القرآن من آيات كشاهد حينما يتعرض لشواهد القاعدة النحوية من القرآن ، من أمثلة ذلك :
ما ذكره السهيلي في نتائج الفكر في أثناء حديثه عن : "كل المقطوعة عن الإضافة قي أن حقها أن يكون خبرها جمعاً ، وقد ورد موضعان أفرد فيها الخبر عن (كل) " قال : " وأما الفصل الثالث وهو أن تكون مقطوعة عن الإضافة مفردة عنها فحقها أن تكون ابتداء ويكون خبرها جمعاً ... وإنما وجب أن يكون خبرها جمعاً؛ لأنها اسم في معنى الجمع ، والشاهد لما قلناه قوله سبحانه وتعالى: " وكل في فلك يسبحون " " وكل إلينا راجعون " " وكل كانوا ظالمين " . فإن قيل : فقد ورد في القرآن موضعان أفرد فيهما الخبر عن (كل) وهي غير مضافة إلى شيء بعدها ، وهما قوله تعالى :" قل كل يعمل على شاكلته " "كل كذب الرسل " ولم يقل كذبوا . فالجواب أن في هاتين الآيتين قرينة تقتضي تخصيص المعنى بهذا اللفظ دون غيره "[١٢]

وقد تابعه ابن القيم في بدائع الفوائد بنفس قوله .[١٣]
والناظر في القرآن الكريم يجد آيات كثيرة أفرد فيها ضمير الخبر عن (كل) المقطوعة عن الإضافة لا موضعين كما ذكر السهيلي وتبعه ابن القيم . هذه الآيات هي :

" كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِ"
٢٨٥ /٢

"وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى "
٢ /١٣

"قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ"
٨٤/١٧

"قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ "
١٣٥/٢

"كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ"
٤١/٢٤

"وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى " ٢٩/٣١

وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى" ١٣/٣٥

"إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ "
١٤/٣٨

"وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ "
١٩/٣٨

وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى" ٥/٣٩

"كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ "
١٤/٥٠

كما عاد الضمير مفرداً على (كل) المقطوعة عن الإضافة في قوله تعالى :

"وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ"
٣٩/٢٥

---

[٥] - سيبويه : عمرو بن عثمان – الكتاب – ت عبدالسلام هارون – ط٣ – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٨٨م - ج ١ ص ٣٦٦ .
[٦] - الزجاج : إبراهيم بن السري – معاني القرآن وإعرابه – ت عبدالجليل شلبي – ط١ –عالم الكتب – بيروت -١٩٨٨م -
[٧] - ابن مالك : محمد بن عبدالله - شرح الكافية الشافية – د . م . ط - ج٢ ص ٢٤٤ .
[٨] - الرضي : محمد بن الحسن - شرح الكافية – ت يوسف حسن – ط٢ – دار الكتب – بنغازي – ١٩٩٦ - ج٢ ص ٢٤٢ .
[٩] - ابن هشام : جمال الدين عبدالله - مغني اللبيب – ت محمد محي الدين-ط٦ – دار الفكر- بيروت – ١٩٨٥م - ج٢ ص ٣٤
[١٠] - نفسه ج١ ص ١٠
[١١] - المرجع السابق ج١ ص ١٣٦ .
[١٢] - السهيلي : عبدالرحمن بن عبدالله – نتائج الفكر في النحو- ت عادل عبدالموجود- ط١- دار الكتب العلمية – بيروت-١٩٩٢- ص٢٢٥ .
[١٣] - ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد – ت علي العمران – دار عالم الفوائد – جده – د . ت .ط – ج١ – ص ٢١٣، ٢١٤ .

"فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ"
٢٩/٤٠

[٢] ما ورد في الهمع من أن الصفار ذهب إلى منع دخول (أم) على (هل) وغيرها من أدوات الاستفهام لأنه جمع بين أداتي معنى ، وقال إنه لا يحفظ منه إلا قوله تعالى :" أَمَّنْ هَذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ " وقوله تعالى : " أَمَّنْ هَذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ " [١٤]

أي أنه يزعم أنه لم يقع في القرآن إلا في آيتين .
وقد قال أبو حيان عن قول الصفار السابق : " وهذا منه دليلٌ على الجسارة وعدم حفظ كتاب الله "[١٥]
وعند النظر في آيات القرآن الكريم نجد أن (أم) دخلت على (هل) في قوله تعالى :" قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ " ١٣ / ١٦

ووقع بعد (أم) أيضاً (ماذا) في قوله تعالى : " قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " ٢٧ / ٨٤

وجاء بعد (أم) (من) الاستفهامية في سبعة مواضع غير الموضعين اللذين ذكرهما الصفار ، هذه المواضع هي :
"هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ جَـٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَـٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا " ١٠٩/٤

"قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ" ٣١/١٠

"أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ "
٦٠/٢٧

"أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا"
٦١/٢٧

"أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ"
٦٢/٢٧

" أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ"
٦٣/٢٧

"أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ "
٦٤/٢٧

[٣] ما ذكره أبو حيان في مراعاة لفظ " من " ثم معناها ، ثم لفظها بعد أن أورد قوله تعالى :" وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ "
٣١/ ٦- ٧

قال : راعى اللفظ أولاً في (يشتري ، ليضل ، ويتخذها) ثم راعى المعنى في (أولئك لهم) ثم راعى اللفظ ثانياً في (تتلى ، عليه ، ولى ، مستكبراً ، يسمعها ، أذنيه ، فبشره) ، ثم قال : " ولا نعلم أنه جاء في القرآن ما حمل على اللفظ ، ثم على المعنى ، ثم على اللفظ غير هاتين الآيتين "[١٦]
وقد ورد مراعاة اللفظ ثم المعنى ثم اللفظ في القرآن الكريم في ستة مواضع سوى الآيتين اللتين ذكرهما أبو حيان ، هذه المواضع هي :

فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ "
٢٠٠/٢

"وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ "
٧٢/٤-٧٣

[١٤] - السيوطي : جلال الدين – همع الهوامع شرح جمع الجوامع – ت عبدالعال مكرم – دار البحوث العلمية – الكويت – ١٩٧٧م ج٢ ص ١٣٢ .
[١٥] - نفسه ج ٢ ص ١٣٣
[١٦] - البحر المحيط ج ٧ ص ١٨٤

"وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ "

١٣٩/٦

" كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ " ٣٥-٣٤/٤٠

وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ "

١٣-١٢/٤٣

وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ " ١١/٦٥

جرأة بعض النحاة على الجزم بخلو القرآن من بعض الأساليب :

ومن الملاحظات التي نجدها في كتب النحو جرأة بعض النحاة على الجزم بخلو القرآن الكريم من بعض الأساليب من غير استقراء للقرآن؛ من ذلك :

[١] ما ذكره السهيلي أنه يقبح أن تدخل السين في جملة خبر المبتدأ ، فإذا أدخلت (إن) على المبتدأ جاز دخول السين ، قال : " ولذلك قبح : زيداً سأضرب ، وزيداً سيقوم ، مع أن الخبر عن زيد ، إنما هو بالفعل لا بالمعنى الذي دلت عليه السين فإن ذلك مسند إلى المتكلم ، لا إلى زيد ، فلا يجوز أن يخلط بالخبر عن زيد؛ فتقول: زيد سيفعل ، فإن أدخلت (إن) على الاسم المبتدأ جاز دخول السين في الخبر ؛ لاعتماد الاسم على إن ومضارعتها للفعل ، فصارت في اللفظ مع اسمها كالجملة التامة فصلح دخول السين فيما بعد . فأما مع عدم (إن) فيقبح ذلك ، وهذا مذهب الشيخ أبي الحسين رحمه الله تعالى ، إلا التعليل فإنه بخلاف تعليله .

وقد قلت له كالمحتج عليه ، أليس قد قال سبحانه وتعالى:" والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار " فجاء بالسين في خبر المبتدأ؛ فقال لي : اقرأ ما قبل الآية ، فقرأت : " إن الذين كفروا ... " فضحك وقال : قد كنت أفزعتني ، أليست هذه (إن) في الجملة المتقدمة وهذه الأخرى معطوفة بالواو عليها ، والواو تنوب مناب تكرار العامل ، فسلمت له وسكت) [١٧]

وقد نقل ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد نص ما ذكره السهيلي [١٨] دون الرجوع إلى القرآن الكريم ، ولو رجع السهيلي أو شيخه أبو الحسين أو ابن القيم إلى آيات سورة النساء وحدها لوجدوا فيها آيات وقعت فيها الجملة المصدرة بالسين وبسوف خبراً للمبتدأ وليس قبلها (إن) .

بل وفي القرآن آيات كثيرة اقترنت فيها جملة الخبر بعلامة الاستقبال وليس قبلها (إن) كقوله تعالى :

"وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ "

١٢٢/٤

"وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُوْلَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا "

١٦٢/٤

"فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا "

١٧٥/٤

"وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ " ٧/ ١٨٢

أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ "

٧١/٩

وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ "٤٨/١١

"وَهُمْ مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ "

٣/٣٠

---

[١٧] - نتائج الفكر ص ٨٠

[١٨] - بدائع الفوائد ج ١ ص ٩٠

"فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ " ٥١/٣٩

[٢] ما ذكره السيوطي في الإتقان عند حديثه عن (كم) قال : (وترد استفهامية ولم تقع في القرآن)[١٩]

وقد جاءت (كم) استفهامية في قوله تعالى :

"قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ " ٢٥٩/ ٢

"قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ " ١٩/١٨

"قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ "

٢٣/ ١١٢، ١١٣

واحتملت (كم) أن تكون استفهامية وأن تكون خبرية في خمسة مواضع من القرآن الكريم هي: :

"سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ " ٢١١/٢

(كم) استفهامية عند العكبري ٢٠ ، وأبي حيان ٢١

" أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ"

٦/٦

(كم) في هذه الآية استفهامية عند العكبري ٢٢ ، والقرطبي ٢٣ وأبي حيان ٢٤

" أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ " ٣١/٣٦

(كم) استفهامية عند الفراء ٢٥ ، وعند أبي حيان ٢٦ ، وكذا عند القرطبي ٢٧

" أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ" ١٢٨/٢٠

(كم) استفهامية عند الفراء ٢٨ ، والعكبري ٢٩

" أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ"

٢٦/٣٢

(كم) استفهامية عند العكبري[٣٠] ، ومحتملة للاستفهامية والخبرية عند الفراء[٣١]

منع بعض النحاة لبعض أساليب جاء نظيرها في القرآن :

مما نجده من ملاحظات في كتب النحو كذلك أن بعض النحاة يمنعون أساليب في العربية جاء نظيرها في القرآن الكريم؛ من ذلك:

١] ما ذكره سيبويه من قبح (كل) المضافة إلى نكرة في أن تلي العوامل فلا تقع مفعولاً به ، فقال : (أكلت شاة كل شاة حسن ، وأكلت كل شاةٍ ضعيف؛ لأنهم لا يعمون ، هكذا فيما زعم الخليل)[٣٢]

وللأسف نجد أن السيرافي لم يعلق في شرحه لكتاب سيبويه على هذا النص شيئاً .[٣٣] وهذا الذي منعه سيبويه أو ضعفه قد جاء كثيراً في القرآن الكريم؛ مثل قوله تعالى :

"وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا " ٢٥/٦

" وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا " ٨٠/٦

" وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا " ١١١/٦

" وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ" ١٤٦/٦

" وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ " ١٠١/٦

"وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا " ٨٩/٧

---

[١٩] - السيوطي : جلال الدين - الاتقان في علوم القرآن – ط ٨ – دار القلم – بيروت – ١٩٨٨ م - ج ١ ص ١٧٠

[٢٠] - العكبري : أبو البقاء – التبيان في إعراب القرآن – ت عبدالإله نبهان – ط٢ – مجمع اللغة العربية – دمشق – ١٩٨٦م –ج١ص٩٢

[٢١] - البحر المحيط ج ٢ ص ١٢٧

[٢٢] - التبيان في إعراب القرآن ج١ ص ١٣٢

[٢٣] - القرطبي : محمد بن أحمد– الجامع لأحكام القرآن – ت عبدالله التركي- ط١–مؤسسة الرسالة –بيروت– ٢٠٠٦م -ج٦ ص ٣٩١

[٢٤] - البحر المحيط ج ٤ ص ٧٥

[٢٥] - الفراء : يحي بن زياد - معاني القرآن – ط٣ – عالم الكتب – بيروت – ١٩٨٣م - ج ٢ ص ٣٧٦

[٢٦] - البحر المحيط ج ٧ ص ٣٣٣

[٢٧] - الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٢٤

[٢٨] - معاني القرآن ج ٢ ص ١٩٥

[٢٩] - التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ٦٧

[٣٠] - نفسه ج٢ ص ٩٩

[٣١] - معاني القرآن ج ٢ ص ٣٣٣

[٣٢] - الكتاب ج ١ ص ٢١٥ .

[٣٣] - أنظر : السيرافي : أبو محمد – شرح كتاب سيبويه – ت محمد الريح – دار الفكر – القاهرة – ١٩٧٤م – ج ١ ص ٢٦٧ .

" وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا "
١٤٦/٧

" وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ "
١٥٦/٧

" وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ "
١٢/٨

" وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ "
٣/١١

" وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا "
٣١ /١٢

" لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ "
٥١/١٤

" يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ "
٧١/١٧

" وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا "
٧٩/١٨

" قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ "
٥٠/٢٠

" لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا "
٩٨/٢٠

" وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ "
٣٠/٢١

" وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ "
٣/٢٢

" إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ "
٣٨/٢٢

" ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ "
٢/٢٤

" وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ "
٤٥/٢٤

" وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا "
٢/٢٥

" صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ "
٨٨/٢٧

" إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ "
١٨/٣١

" ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ "
٧/٣٢

" وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا "
١٣/٣٢

" كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ "
٣٦/٣٥

" رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا "
٧/٤٠

" قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ "
٢١/٤١

" وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً "
٢٨/٤٥

" رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا "
٢٤،٢٥/ ٤٦

" أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ "
٢٤/٥٠

" وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ "
٢٣/٥٧

" وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ "
١٠/٦٨

" وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا "
٢٨/٧٢

" تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ "
٤/٦٣

إذاً فقد جاءت (كل) المضافة إلى نكرة مفعولاً به في ٣٦ موضعاً في القرآن الكريم وهو ما ضعفه سيبويه والخليل .

٢] منع السهيلي واستقبح تقديم الفعل على (كل) المقطوعة عن الإضافة ، نحو ضربت كلا ، ومررت بكل. قال في نتائج الفكر : (وأما قولنا في (كل) إذا كانت مقطوعة عن الإضافة فحقها أن تكون مبتدأه فإنما نريد أنها مبتدأة مخبر عنها أو مبتدأة منصوبة بفعلٍ بعدها لا قبلها، أو مجرورة بتعلق خافضها بما بعدها؛ كقولك : كلا ضربت، وبكل مررت

قال الشاعر : كلا بلوت فلا النعماء تبطرني

وقال الخثعمي : بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

ويقبح تقديم الفعل العامل فيها إذا كانت مفردة؛ كقولك: ضربت كلًّا ، ومررت بكلٍّ ، من أجل أن تقديم العامل عليها يقطعها عن المذكورين قبلها في اللفظ؛ لأن العامل اللفظي له صدر الكلام، وإذا قطعتها عما قبلها في اللفظ لم يكن لها شيء تعتمد عليه قبلها ولا بعدها فقبح ذلك. وأما إذا كان العامل معنويًّا؛ نحو: كل ذاهبون فليس بقاطع لها عما قبلها من المذكورين؛ لأنه لا وجود له في اللفظ، فإذا قلت : ضربت زيداً وعمراً وخالداً ، وشتمت كلا أو ضربت كلا وما أشبه ذلك لم يجز "[٣٤]

ونجد ابن القيم في بدائعه [٣٥] ينقل كلام السهيلي بنصه وفصه دون أن يكلف نفسه عناء النظر في آيات القرآن الكريم؛ لأنه لو نظر فيها لوجد ما منعه السهيلي واستقبحه موجوداً ، فقد جاء تقديم الفعل على (كل) الواقعة مفعولاً به في قوله تعالى :

"وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ"

١٣٠ /٤

"وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَـٰهُمْ "

٤٦/٧

وجاء تقديم الفعل على (كل) المجرورة بحرف الجر في قوله تعالى :

" قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ "

٤٠/١١

" فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ "

٢٧/٢٣

٣] منع ابن الطراوة أن يقع المصدر من (أن) والفعل مضافاً إليه ،جاء في الهمع ما نصه : (وقال ابن الطراوة : لا يجوز أن يضاف إلى (أن) ومعمولها لأن معناها التراخي ، فما بعدها في جهة الإمكان وليس بثابت ،النية في المضاف إثبات عينه بثبوت عين ما أضيف إليه ، فإذا كان ما أضيف إليه غير ثابت في نفسه فأن يثبت غيره محال)[٣٦]

ولا أدري من أين لابن الطراوة هذا ؟! وقد ورد في القرآن الكريم المصدر المؤول من (أن) والفعل مضافاً إليه في ثلاثة وثلاثين موضعاً على النحو الآتي :

أضيفت (قبل) إلى المصدر المؤول من (أن) والفعل في تسعة وعشرين موضعاً هي :

" وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "

٢٣٧/٢

"كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ "

٩٣/٣

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا "

٤٧/٤

" إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "

٣٤/٥

" قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ "

١٢٣/٥

"قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

١٢٩/٧"

" قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ "

٣٧/١٢

[٣٤] - نتائج الفكر ص ٢٢٧

[٣٥] -بدائع الفوائد ج ١ ص ١١٤

[٣٦] -همع الهوامع ج٢٣ ص٣

" قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ " ٣١/١٤

" قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا " ١٠٩/١٨

" فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا " ١١٤/٢٠

" قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ " ٧١/٢٠

" وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ " ١٣٤/٢٠

" قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ " ٤٩/٢٦

" قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ" ٣٩/٢٧

"قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ " ٤٠/٢٧

" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ " ٤٣/٣٠

" وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ " ٤٩/٣٠

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا " ٤٩/٣٣

" وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ " ٥٤/٣٩

" وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ " ٥٥/٣٩

" ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ " ٤٧/٤٢

" مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ " ٢٢/٥٧

" وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ "
٣/٥٨

" فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ "
٤/٥٨

" وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ " ١٠/٦٣

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ " ٢٥٤/٢

" قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ " ٣٨/٢٧

" إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ "
١/٧١

كما أضيفت (بعد) إلى المصدر المؤول من (أن) والفعل في أربعة مواضع هي :

"مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ"
١٠٠/١٢

" وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ "
٥٧/٢١

" وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا "
٢٤/٤٨

" وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ "
٢٦/٥٣

٤] اشترط الزمخشري في خبر (أن) الواقعة بعد (لو) أن يكون خبرها فعلاً ، ولا يصح أن يكون اسماً جامداً أو مشتقاً ، قال في المفصل : (ولطلبها الفعل وجب في (أن) الواقعة بعد (لو) أن يكون خبرها فعلاً لقولك : لو أن زيداً جاءني لأكرمته ، وقال تعالى: " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به " . ولو قلت : لو أن زيداً حاضري لم يجز)[٣٧]

وكذلك لا نجد أي تعليق من ابن يعيش في شرحه للمفصل على كلام الزمخشري السابق .[٣٨]

ويرى ابن الحاجب في كافيته[٣٩] أن خبر (أن) بعد (لو) يجب أن يكون فعلاً إن كان الخبر مشتقاً ، وإن لم يكن الخبر مشتقاً جاز أن يقع جامداً ، لتعذر الفعل؛ كما في قوله تعالى : " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام "

وقد كفانا ابن هشام في الرد على الزمخشري وابن الحاجب بقوله : (لأن ذلك واقع في كتاب الله تعالى : " وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ "[٤٠] ولو استحضرها الزمخشري وابن الحاجب لم يقولا ما قالاه)[٤١]

وقال في المغني[٤٢]: (ووجدت آية الخبر فيها ظرف لغو ، وهي "لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ"[٤٣]

وكلام ابن هشام يوهم أنه ليس في القرآن خبر (أن) الواقعة بعد (لو) ظرف لغو سوى هذه الآية التي ذكرها ، وفي القرآن غيرها هي قوله تعالى : " قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ

---

[٣٧] - الزمخشري : جار الله – المفصل – ت محمد النعساني – ط٢ – دار الجيل – بيروت - ص ٢١٦

[٣٨] -ابن يعيش:موفق الدين- شرح المفصل-ت مشيخة الأزهر-إدارة المطبعة المنيرية-القاهرة- ج ٩ ص ١١

[٣٩] -ابن الحاجب:جمال الدين محمد- الكافية في النحو- دار الكتب العلمية – بيروت – د.ت.ط – ص ٥٨ .

[٤٠] -سورة الأحزاب ١٩

[٤١] -ابن هشام: جمال الدين عبدالله-شرح بانت سعاد- ملتقى أهل الأثر- ط١٣٠٢هـ - ص ٢٨,٢٩

[٤٢] - مغني اللبيب ج ١ ص ٢١٤

[٤٣] -سورة الصف ١٦٨

ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ "
٥٨/ ٦
وقد جاء الخبر ظرفاً أيضاً بعد (لو) التي للتمني في قوله تعالى
"تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا "
٣٠ / ٣
وجاء الخبر جارًا ومجروراً في قوله تعالى :
"إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ " ٣٦/٥
" وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ" ٥٤/١٠
" قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ "
٨٠/١١
" لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ" ١٨/١٣
" وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ"٤٧/٣٩
كما نلاحظ كذلك أن الزمخشري في الكشاف [٤٤] لم يتعرض لخبر (أن) في الآيتين
" وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ "
٢٧ /٣١
"وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ " ١٩ / ٣٣
٥] منع النحويون وقوع الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب، ويرون أن الاستثناء المفرغ لا يأتي إلا بعد الإيجاب، واشترطوا له تقدم نفي أو شبهه، وعللوا ذلك بأن وقوع المفرغ بعد الإيجاب يتضمن المحال أو الكذب، وسنذكر طرفاً من أحاديثهم.
قال الفراء : (ولولا الجحد ... لم تجز دخول (إلا) كما أنك لا تقول : ضربت إلا أخاك ، ولا ذهب إلا أخوك)[٤٥]
وفي المقتضب :(والاستثناء على وجهين ، أحدهما : أن يكون الكلام محمولا على ما كان عليه قبل دخول الاستثناء ، وذلك قولك : ما جاءني إلا زيد ، وما ضربت إلا زيداً ، وما مررت إلا بزيد فإنما يجري هذا على قولك ، جاءني زيد - ورأيت زيداً ومررت بزيد ... وإنما احتجت إلى النفي والاستثناء ، لأنك إذا قلت : جاءني زيد فقد يجوز أن يكون معه غيره فإذا قلت : ما جاءني إلا زيد نفيت المجيء كله إلا مجيئه ، وكذلك جميع ما ذكرنا)[٤٦]
وجاء في التسهيل لابن مالك: (وله بعد (إلا) من الإعراب إن ترك المستثنى منه وفرغ العامل له ما له مع عدمها . ولا يفعل ذلك دون نهي أو نفي صريح أو مؤول)[٤٧]
ويقول ابن يعيش : (والذي يؤيد ذلك عندك أنك تقول : ما زيد إلا قائم ، نفيت عنه القعود والاضطجاع ، وأثبت له القيام ، ولا تقول : زيد إلا قائم ، فتوجب له كل حال إلا القيام ، إذ من المحال اجتماع القعود والاضطجاع)[٤٨]
وقال الرضي في شرح الكافية : (قد تقدم أنك لو قلت : قام إلا زيد لكان المعنى : قام جميع الناس إلا زيد ، وهو بعيد وقرينة تخصيص جماعة من الناس من جملتهم زيد منتفية في الأغلب ، فامتنع الاستثناء المفرغ في الإيجاب الموجب)[٤٩]
وجاء في الهمع : (والجمهور على منعه ، لأنه يلزم منه الكذب ، إذ تقديره : ثبوت القيام والضرب والمرور بجميع الناس إلا زيداً ، وهو غير جائز ، بخلاف النفي فإنه جائز)[٥٠]
وأبو حيان ممن منع أن يجيء الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب ، قال في البحر المحيط : (حكم الواجب لا تدخل (إلا) فيه لا في المفعول ولا في غيره من الفضلات ، لأنه يكون استثناء مفرغاً ، والاستثناء المفرغ لا يكون في الواجب ، لو قلت : ضربت إلا زيداً ، وقمت إلا من ضاحكا لم يصح ، والاستثناء المفرغ لا يكون إلا مع النفي أو النهي أو المؤول بهما)[٥١]
ولم يخالف الجمهور سوى ابن الحاجب فانفرد بالقول بجواز مجيء الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب وذلك في الفضلات بشرط الإفادة ، ومثل لذلك بقوله : قرأت إلا يوم كذا ، وبين الإفادة في هذا المثال في شرح الكافية بقوله : (لأنه يجوز أن يقرأ الأيام كلها إلا يوماً ، بخلاف ضربني إلا زيداً ، فإنه لا يستقيم أن يضربه كل أحد ويستثنى زيدا)[٥٢]
وكم كان يجمل بابن الحاجب الذي أجاز وقوع الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب في الفضلات وشرط له الإفادة أن يحتكم إلى أسلوب

[٤٤] -أنظر الكشاف ج ٣ ص ٢١٥، ٢٣١
[٤٥] -معاني القرآن ج ١ ص ٢٣٣

[٤٦] - المبرد: أبو العباس –المقتضب- ت محمد عضيمة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-١٣٨٨هـ - ج٤ ص ٣٨٩
[٤٧] -ابن مالك : جمال الدين محمد – شرح التسهيل –ت عبدالرحمن السيد –هجر للطباعة والنشر- د.م.ط - ص ١٠١
[٤٨] -شرح المفصل ج٢ ص ٨٢
[٤٩] -شرح الكافية ج١ ص ٢١٧
[٥٠] - همع الهوامع ج ١ ص ٢٢٣
[٥١] -البحر المحيط ج٤ ص ٤٧٥
[٥٢] -شرح الكافية ص ٤٦

القرآن الكريم ، ويستشهد بما جاء به فشتان ما بين الإفادة في مثال ابن الحاجب والإفادة في آيات القرآن الكريم.
وقد تم إحصاء آيات الاستثناء في القرآن الكريم ، وكان من ثمرة هذا الإحصاء أن وجدت آيات كثيرة جاء فيها الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب ، وبعض هذه الآيات جاء الإثبات فيها مؤكدًا؛ مما يبعد تأويل هذا الإثبات بنفي؛ مثل قوله تعالى :

" وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ "

٤٥ / ٢

" وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ "

١٤٣/٢

" لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ "

٦٦/١٢

فهذا الإثبات المؤكد بإن واللام ، أو بالقسم ونون التوكيد لا يمكن حمله على معنى النفي؛ لأننا لو سلكنا هذا الطريق وسوغنا هذا التأويل ما وجدنا في لغة العرب إثباتاً يستعصى على تأويله بالنفي؛ لذلك لا أستسيغ تأويل ابن هشام في المغني [٥٣] والزركشي- في البرهان [٥٤] حيث تأولا قوله تعالى " وإنها لكبيرة " بقولها : إنها لا تسهل . وكذلك لا أستسيغ تأويل الزمخشري في قوله تعالى " لتأتيني به " بقوله لا تمتنعون من الإتيان به . [٥٥]
ومن الآيات التي جاء فيها الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب أيضاً قوله تعالى :

" فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ "

٢٣٧/٢

" ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ "

١١٢/٣

" وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ "

٩٢/٤

" وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ "

١٦/٨

" فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "

٧٢/ ٨

" وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ "

٦٥/٢٢

" وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ "

٦،٥/٢٣

" وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ "

٦/٣٣

" وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ "

٣٠ ،٢٩/٧٠

" إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ "

٥٣ /١٢

[٦] ومما يتصل بالفقرة السابقة أن النحويين منعوا أن يجيء الاستثناء المفرغ بعد (مازال) وأخواتها؛ لأن نفيها إيجاب لا يمكن حمله على النفي؛ ولذلك جعل ابن الحاجب والرضي وقوع (إلا) بعد (مازال) وأخواتها من المحال.
قال ابن الحاجب: (ومن ثم لم يجز مازال زيد إلا عالماً) وقال في شرحها " لأن معنى مازال : ثبت ، فصار استثناء مفرغاً في الواجب فلا يستقيم المعنى فيه، ثم لو سلم أنه يجوز الاستثناء المفرغ في الواجب فإنه لا يستقيم هاهنا؛ لأن وضع(مازال) لإثبات ما انتصب بها، و (إلا) بعد الإثبات للنفي فيما بعدها ، وهو خبر (مازال) فيصير هذا المنصوب مثبتاً؛ لكونه خبرًا لمازال منفيًا لوقوعه بعد(إلا) بعد الإثبات ، فيصير منفيًا مثبتاً في حالة واحدة وهو محال). [٥٦]
وقال الرضي : (أي ومن جهة أن المفرغ إنما يجيء في غير الموجب امتنع : مازال زيد إلا عالماً؛ لأن (مازال) موجب؛ إذ النفي إذا دخل على النفي أفاد الإيجاب الدائم ... فيكون المعنى: دام زيد على جميع الصفات إلا على صفة العلم، وهو محال) [٥٧]
وأقول : إن هذا المحال في نظر ابن الحاجب والرضي قد جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : "لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ "

١١٠/٩

فالاستثناء في هذه الآية مفرغ فكيف وقع بعد (لا يزال) التي تفيد الإثبات ، والتي نص النحاة على أنه لا يقع الاستثناء المفرغ بعدها (مازال) وأخواتها .
للأسف الشديد لم أجد للنحاة ولا للمعربين ولا للمفسرين كلاماً بشأن الاستثناء في هذه الآية ، بل لاذوا بالصمت فلم يتكلم منهم

[٥٣] -مغني اللبيب ج ٢ ص ١٨٩
[٥٤] - الزركشي : بدر الدين -البرهان في علوم القرآن –ت محمد أبوالفضل-ط٢- دار التراث –القاهرة- ج٤ ص ٢٤٠
[٥٥] - الكشاف ج ٢ ص ٢٦٦
[٥٦] - الكافية ص ٤٦
[٥٧] - شرح الكافية ج١ ص ٢١٧، ٢١٨

أحد سوى أبي السعود الذي قال : (استثناء من أعم الأوقات ، أو من أعم الأحوال ومحله النصب على الظرفية أو على الحالية؛ أي لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت من الأوقات أو في كل حال من الأحوال إلا وقت تقطع قلوبهم أو حال تقطع قلوبهم) [58]

[٧] اشترط الرضي لوقوع الفعل الماضي بعد (إلا) في الاستثناء المفرغ أحد شرطين هما:
أن يتقدم (إلا) ماضٍ منفي . ٢- أن يقترن الماضي بقد .
قال في شرح الكافية : (وأما الماضي فجوزوا أن يليها في المفرغ بأحد قيدين :
وذلك إما اقترانه بقد؛ نحو : ما الناس إلا قد عبروا ، وذلك لتقريبها له من الحال المشبه للاسم ، وإما تقدم ماض منفي؛ نحو قولك : ما أنعمت عليه إلا شكر) [59]
واشترط ابن مالك لوقوع الماضي بعد (إلا) شرطين أيضاً :
تقدم الفعل على (إلا) ٢- اقتران الماضي بقد .
قال : (ويغني عن تقديم فعل اقتران الماضي بقد ، كقوله :
ما المجد إ لا قد تبين أنه بندى وحلم لا يزال مؤثلا
لأنها تقربه من الحال فأشبه المضارع ، والمضارع لا يشترط فيه ذلك لشبهه بالاسم ، والاسم بإلا أولى ، لأن المستثنى لا يكون إلا اسماً ومؤولاً به وإنما ساغ وقوع الماضي بتقديم الفعل؛ لأنه مع النفي يجعل الكلام بمعنى (كلما)كان كذا كان كذا فكان فيه فعلان ، كما كان مع (كلما))[60] وقد تبعه في ذلك أبو حيان [61] ، وابن يعيش [62]
والرد على ما سبق من أقوال هو:أن الفعل الماضي قد وقع بعد (إلا) في القرآن الكريم ، وليس فيه أحد الشرطين في ثماني عشرة آية : تسع منها سبق (إلا) فيها مضارع منفي بما ، وست منها سبق (إلا) مضارع منفي بلا ، وآية تقدم (إلا) فيها مضارع منفي بإن ، وآيتان لم يتقدم (إلا) فيهما فعل ولم يقترن الماضي بقد .
وهذه هي الآيات :

" وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ " ٤/٦

" وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ " ١١/١٥

" مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ " ٢/٢١

" وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ " ٥/٢٦

" مَّا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ " ٣٠/٣٦

" مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ " ٤٢/٥١

" وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ " ٤٦/٣٦

" وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا " ٦١/١٠

" وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ " ٧/٤٣

" ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ " ١٢٠/٩

" وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ " ١٢١/٩

وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا " ٦١/١٠

" قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ" ٣٧/١٢

" لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا " ٤٩/١٨

[58] - أبو السعود بن محمد العمادي: تفسير أبي السعود- ت عبدالقادر عطا- مكتبةالرياض الحديثة- الرياض - ج ٢ ص ٢٩٧
[59] - شرح الكافية ج ١ ص ٢٢٩
[60] - شرح التسهيل ص ١٠٥
[61] - البحر المحيط ج ٤ ص ٧٤
[62] - شرح المفصل ج٢ ص ٩٣ ، ٩٤

" وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ "

٣٣/٢٥

" إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ "

٥٤/١١

" وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ "

٢٤/٣٥

" إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ "

١٤/٣٨

ولم أجد في القرآن الكريم ماضياً سبق (إلا) إلا في ثلاث آيات هي :

" وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ " ٩٤/٧

" وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا "

٣٤/٣٤

" كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ "٥٢/٥١

[٨] وقوع الجملة الطلبية خبراً لإن . بين النحويين خلاف في ذلك ، جاء في ارتشاف الضرب : (وفي دخول (إن) على ما خبره نهي خلاف ، صحح ابن عصفور جوازه في شرحه الصغير للجمل وتأول ذلك في شرحه الكبير في قوله :

إن الرياضة لا تنصبك للشيب ، وعلى المنع نصوص شيوخنا)[٦٣]

وفي المغني :(الصحيح أن المبتدأ يجوز أن يخبر عنه بالجملة الخبرية الإنشائية ، لكن لا يجوز أن يدخل عليها ناسخ كإن وأخواتها ، وكان وأخواتها إلا إذا كان خبره جملة خبرية)[٦٤]

وفي شرح الكافية للرضي :(ليت ولعل وكأن وأن المفتوحة لا تدخل على مبتدأ في خبره معنى الطلب ، سواء كان ذلك الخبر مفرداً أم جملة ... وأما إن ولكن فلا يمكن كون أخبارهما مفرداً متضمناً لمعنى الطلب .. وأما الجملة الطلبية كالأمر والنهي والدعاء ، والجملة المصدرة بحرف الاستفهام والعرض والتمني ونحو ذلك فلا أرى مانعاً من وقوعها خبراً لهما كما في خبر المبتدأ وإن كان قليلاً)[٦٥]

وفي الهمع : (لا يكون الخبر في هذا الباب مفرداً طلبياً ... واختلف في جملة النهي ، وصحح ابن عصفور وقوعها خبراً هنا ، لقولهم :

إن الذين قتلتم أمس سيدهم لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما

قال أبو حيان : وينبغي تخصيص ذلك بإن وحدها ، لأنها مورد السماع ، قال : والذي نص عليه شيوخنا المنع مطلقاً ، وتأولوا البيت على إضمار القول)[٦٦]

هذا وقد جاءت الجملة الطلبية خبراً لإن في آيتين :

قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " ٢١/٣

ولم أجد أحداً من النجاة احتج بهذه الآية على جواز وقوع الجملة الطلبية خبراً لإن ، فقد تكلموا عن دخول الفاء في خبر إن وما الذي سوغ ذلك ، ولكنهم لم يعرضوا للحديث عن وقوع الجملة الطلبية خبراً لإن .[٦٧]

قوله تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم " ١١/٢٤

[٩] زعم السهيلي أن (السين) و(سوف) و(قد) لها صدر الكلام ، فلا يتقدم عليها معمول ما بعدها ، قال في نتائج الفكر : (فإن أدخلت على الماضي (قد) التي للتوقع كانت بمنزلة السين التي للاستئناف، وقبح حينئذ: أمس قد قام زيد، كما قبح: غداً سيقوم زيد ، والعلة كالعلة حذوك النعل بالنعل)[٦٨]

وقد نقل ابن القيم كلام السهيلي بنصه وفصه في بدائع الفوائد .[٦٩]

ولو كان الأمر كما زعما ما جاز أن ينصب الاسم على الاشتغال قبل (قد)؛ لأن ما لا يعمل لا يفسر عاملاً ، وقد وجب الرفع قبل ما له صدر الكلام كما ذكر ذلك عضيمة في دراسته لأسلوب القرآن الكريم .[٧٠]

وقد جاء في القرآن نصب الاسم المشتغل عنه في قوله تعالى :

" وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ "

١٦٤/٤

---

[٦٣] - أبو حيان: محمد بن يوسف- ارتشاف الضرب-ت رجب عثمان – ط١-مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٩٨م – ص ٧٩ .

[٦٤] - مغني اللبيب ج ٢ ص ١٤٦

[٦٥] - شرح الكافية ج ٢ ص ٣٢٣ ، التبيان في إعراب القرآن ج ١ ص ٧٣

[٦٦] - همع الهوامع ج ١ ص ١٣٥

[٦٧] - أنظر : الكشاف ج ١ ص ١٨١ ، والتبيان ج ١ ص ١٩٦ ، والبحر المحيط ج ٢ ص ٤١٣

[٦٨] - نتائج الفكر ص ٨٠

[٦٩] - بدائع الفوائد ج ١ ص ٩٠

[٧٠] - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج ٢ ص ٢٩٨

رُسُلا) منصوب بفعل محذوف يفسره (قَصَصْنَاهُم)قال بذلك الفراء [٧١] ، والزمخشري [٧٢] ، وأبو حيان [٧٣]

"وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا "

٢١/٤٨

أجاز الزمخشري نصب (أُخْرَى) بفعل محذوف يفسره (قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا) [٧٤] ، ونقل عنه أبو حيان في البحر المحيط دون أي اعتراض على ذلك [٧٥]

هذا فيما يخص (قد) أما (السين) فقد تقدم معمول الفعل عليها في قوله تعالى :

" وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ "

٣/٣٠

لقد كانت هذه بعض المواضع التي استطعنا جمعها مما خالف فيه النحاة أسلوب القرآن الكريم في أثناء تقعيدهم للغة، وما زلنا نكرر هنا أيضاً أن القصد ليس هو الطعن على النحاة وجهودهم، فإن ما قدموه للغة والقرآن لا يمكن بأي حال من الأحوال التقليل من شأنه أو الطعن فيه، لكننا نريد أن نقول إن أمر الكمال لا ينبغي أن يكون إلا لله وحده سبحانه، ثم إن أمر العلم سيظل متاحاً لكل من شدّ الهمة واستعان ولو طرق باباً للعلم قد قتل بحثاً وأغلق في وجوه مريديه.

إننا بحاجة ماسة إلى استقراء القرآن الكريم ودراسة أساليبه اللغوية بالوسائل العلمية المتقدمة التي أتاحها لنا العلم الحديث، وإخضاع قواعد اللغة لهذه الأساليب، وهذا ما سعى البحث إلى إبراز الحاجة إليه، ولعله يكون فاتحة لدراسات متتاليات بإذنه تعالى ، فهو المستعان وعليه التكلان.

ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

المراجع :

القرآن الكريم .

١-ابن الحاجب:جمال الدين عثمان بن عمر- الكافية في النحو - دار الكتب العلمية – بيروت .

٢-أبو حيان : مُحَمَّد بن يوسف - ارتشاف الضرب – ت رجب عثمان مُحَمَّد – ط ١ –مكتبة الخانجي –القاهرة -١٩٩٨م .

البحر المحيط – ت عادل عبد الموجود –ط١-دار الكتب العلمية –بيروت -١٩٩٣م

٣-الرضي : مُحَمَّد بن الحسن الاستراباذي –شرح الكافية –ت يوسف حسن عمر –ط٢-دار الكتب –بنغازي -١٩٩٦م

٤-الزجاج : أبو اسحاق إبراهيم بن السرى –معاني القرآن واعرابه –ت عبدالجليل شلبي –ط١-عالم الكتب –بيروت -١٩٩٨م

٥-الزركشي : بدر الدين مُحَمَّد –البرهان في علوم القرآن –ت مُحَمَّد أبو الفضل –ط٢-دار التراث –القاهرة –د. ت.ط

٦-الزمخشري : جار الله محمود بن عمر –الكشاف –ت عادل عبد الموجود – ط١ –مكتبة العبيكان – الرياض -١٩٩٨م

المفصل – ت مُحَمَّد النعساني- ط٢- دار الجيل – بيروت – د.ت.ط .

٧-أبو السعود بن مُحَمَّد العمادي –تفسير أبي السعود – ت عبد القادر عطا –مكتبة الرياض الحديثة – الرياض –د . ت . ط

٨-السهيلي : عبد الرحمن بن عبد الله – نتائج الفكر في النحو – ت عادل أحمد عبد الموجود – ط١-دار الكتب العلمية – بيروت -١٩٩٢م

٩-سيبويه : أبو بشر عمر و بن عثمان - الكتاب –ت عبد السلام هارون –ط٣-مكتبة الخانجي –القاهرة -١٩٨٨م

١٠-السيرافي :أبو مُحَمَّد-شرح كتاب سيبويه – ت مُحَمَّد الريح – دارالفكر- القاهرة – ١٩٧٤م .

١١-السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن -الاتقان في علوم القرآن – ط٨-دار القلم –بيروت -١٩٨٨م

همع الهوامع شرح جمع الجوامع –ت عبد العال مكرم –دار البحوث العلمية –الكويت -١٩٧٧م.

١٢-عضيمه : مُحَمَّد عبد الخالق –دراسات لأسلوب القرآن الكريم –ط١–دار الحديث –القاهرة -١٩٧٢م

١٣-العكبري : أبو البقاء عبد الله بن الحسين –التبيان في إعراب القرآن – ت عبد الإله نبهان –ط٢-مجمع اللغة العربية –دمشق - ١٩٨٦م .

١٤-الفخر الرازي : مُحَمَّد بن عمر –التفسير الكبير ومفاتيح الغيب – ط١ –دار الفكر –بيروت -١٩٨١م

١٥-الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد – معاني القرآن - ط٣-عالم الكتب –بيروت -١٩٨٣م .

١٦-القرطبي : أبو عبدالله مُحَمَّد بن أحمد –الجامع لأحكام القرآن –ت عبد الله عبد المحسن التركي –ط ١-مؤسسة الرسالة – بيروت -٢٠٠٦م

١٧-القفطي :جمال الدين -إنباه الرواة في أنباء النحاة- ت مُحَمَّد أبو الفضل-دار الكتب-١٩٥٠م.

١٨-ابن القيم الجوزية : مُحَمَّد بن أبي بكر –بدائع الفوائد – ت علي بن مُحَمَّد العمران –دار عالم الفوائد –جده –د.ت.ط

١٩-ابن مالك :جمال الدين مُحَمَّد بن عبد الله - شرح التسهيل – ت عبد الرحمن السيد –هجر للطباعة والنشر –د. ت. ط

شرح الكافية الشافية – د .م . ط .

[٧١] - معاني القرآن ج ١ ص ٢٩٥

[٧٢] - الكشاف ج ١ ص ٣١٤

[٧٣] - البحر المحيط ج٣ ص ٣٩٨

[٧٤] - الكشاف ج ٣ ص ٤٦٦

[٧٥] - البحر المحيط ج ٨ ص ٩٧

٢٠-المبرد : أبو العباس مُحَمَّد –المقتضب –ت مُحَمَّد عضيمه –المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية -١٣٨٨هـ
٢١-ابن هشام:أبو مُحَمَّد جمال الدين عبدالله- شرح بانت سعاد – ملتقى أهل الأثر –ط١٣٠٢هـ
مغني اللبيب – ت مُحَمَّد محي الدين – ط ٦ – دار الفكر - بيروت - ١٩٨٥م
٢٢-ابن يعيش : موفق الدين يعيش – شرح المفصل – ت مشيخة الأزهر – إدارة الطباعة المنيريه –مصر - د . ت .ط

لفظ "بعل" وأبعاده الدلالية في المدونة اللغوية القديمة

د. أنس قزقز

قسم اللغة العربية – كلية العلوم الإدارية والإنسانية – جامعة الجوف – المملكة العربية السعودية

المُلخَص

يرمي الباحث في هذه الورقة ، إلى قراءة لفظ " بعل" وتتبّع دلالاته المختلفة في المدوّنة اللغوية القديمة ، وتتبّعها في مظانّها الأصيلة: في معاجم اللغة ، والقرآن الكريم ، والشعر العربي ، بدءًا من القديم إلى الحديث ، وذكر الشواهد التي تؤكد ما يذهب إليه الباحث، محاولاً تخليص دراسة المعنى من المناهج الخارجة عن اللغة ، وجعل هذه الدراسة خاضعة للملاحظة والتحليل الموضوعي، معتمدًا في ذلك على(السياق اللغوي linguistic context) الذي يرد فيه اللفظ ، ويشمل السياق اللغوي العلامات التي تتخذها الكلمة داخل الجملة ضمن العلاقات الأفقية (syntagmatic relation) بكل أنواعها؛ كالتراكيب الثابتة، والعبارات الجاهزة وكل ما يربط كلمتين أو أكثر في سياق لغوي؛ مثل : اسم وحرف ، أو مضاف ومضاف إليه ، أو فعل ومفعول به.

على أنّ الباحث لم يغفل السياق المقامي(context of situation) في رحاب النظرية الدلالية السياقية؛ وذلك أنه الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي، كما يسعى البحث متكئًا على المنهجين: التاريخي والتقابلي إلى مداناة دلالة اللفظ في اللغات السامية ، فضلًا عن التعرض له في كتب التاريخ مع ذكر أمثلة من الاستعمالات اللغوية في غير اللغة العربية . ورأى الباحث أنه من المفيد للبحث ذكر الأسماء المضافة إلى بعل ، والأسماء المركبة منه مع اسمٍ آخر ، ولما لاحظ الباحث رائحة التواصل بين لفظي" البعل" و " هُبَل" ، حاول تلمّس التقارب بينهما.

كلمات مفتاحية: عل ، هبل ، الدلالة اللغوية ، الأرض البعلية ، الآلهة الكنعانية ، الترادف

مُقَدِمَةُ :

تتعرض لغات البشر جميعها للتطوّر ، والتغيّر من وقت لآخر ، ولا تكاد تنجو لغة على وجه الأرض من هذا التطور ، ومن المؤكَّد لدى اللغويين ، أن الجانب الدلالي ، هو أكثر الجوانب اللغوية تعرضًا للتطور؛ لارتباطه بتطوّر حركة الحياة البشرية في المجتمع ، وتطور هذه الحياة من وقت لآخر ، إلا أن بعض الألفاظ ، تتغير بطريقة أسرع من بعض ، في ظرف محدد ، وفي فترة زمنية محددة ، تبعًا لعاملي الاستعمال اللغوي والحاجة ، وما تعتمد عليه من تطور اجتماعي أو ثقافي ، قد يتعدّى إلى حاجة سياسية واقتصادية ، ويسعى هذا البحث إلى إلقاء بُقع من الضّوء على بعض الألفاظ التي جرى عليها تغيّر في دلالاتها ، وكان لفظ "البعل" تطبيقا على هذا التطور اللغوي.

وكي تبدو دلالة التطور أكثر وضوحًا ، من أجل القبض على دلالة اللفظ؛ فقد قام الباحث بذكر الصور الاستعمالية المختلفة للجذر الدلالي ، والعودة إلى كتب التاريخ ، التي تتحدث عن الكنعانيين وديواناتهم الوثنية ، أملاً في إيجاد تعالق دلالي في الاستعمالات اللغوية المتنوعة ، وقد وجد الباحث أن بعض اللغويين حاول الربط بين الحقيقة والمجاز ، وتعدّى الأمر ذلك ، فوجدَ محاولةً لتقعيد الدلالة اللغوية للجذر ، وفي هذا إشارة إلى أن الدرس اللغوي الدلالي قد وصل إلى وضع المعيار الذي يصلح للحكم على الخلفية الجمالية لهذه الكلمة أو تلك ،

أو اقترب من ذلك ، ضمن نسقها اللغوي في تلك الفترة الزمنية ، وأن محاولة تقعيد الدلالة – كما ذكرت- كانت مرتكزة على الاستقراء الناضج وشبه التام للنماذج اللغوية ، ولم يكن ارتكازها على شاهد لغوي محدد بفن لغوي خاص ، كالنثر أو الشعر مثلا ، بل تعدى ذلك إلى أنماط اللغة كلها.

مشكلة البحث:

تمثلت مشكلة البحث في تعدد دلالات اللفظ "بعل" ، وظهرت المشكلة في صعوبة الربط بين الدلالات ، ولمّا قَصَر المفسرون اللفظ " بعل" على مرادِفه" الزوج" لم يعد قادرًا على تأدية الدلالة الموضوعة له في قوله تعالى:﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] بشكل خاص ، ولا سيّما أن القرآن الكريم قد استخدم "الزوج" بشكل مغاير تمامًا للبعل ، ونتج عن هذا التفسير مشكلة جديدة في

ما إذا كان "البعل" مرادفًا لِلَفظ " الزوج" ، وهل يمكن استبدال أحدهما ضمن قائمة مغلقة ، أو ضمن حقل دلالي؟ وظهر التساؤل قويا في سبب ذكر " البعل" مع الأشخاص الذين يحق للمرأة إبداء زينتها أمامهم؛ وذلك أن الزينة وغيرها من المباحات بين المرء وزوجه ، فما الفائدة من ذكر الحكم الشرعي في أمر معلوم ضِمنًا؟

المحور الأول

أولاً: المعاجم وكتب اللغة:

حينما تتبع الباحث لفظ "بعل" في معاجم اللغة ، مستخدمًا المنهج التاريخي في استقصاء اللفظ ، وجد الباحثُ فسيفساء من المعاني ، تدور جميعها في فَلَك الزَّوج ، وما يدور بينه وبين زوجه ، وتوجّه الخطاب وفق معاني الإخصاب (الخصوبة الجنسية) ولم يشذ عن هذا المعنى إلا النزر.

ويُعَدّ المعنى المعجمي عنصرًا مهمًّا من عناصر المعنى اللغوي المنشود في هذا البحث ، ولدى تتبّع لفظ "بعل" في المعاجم وكتب اللغة ، فقد وجد الباحث من الحصاد المعجمي وفرةً في المعاني الدلالية ، تحصّلت نتيجة ظهور الاشتقاقات الصرفية في الحيّز اللغوي ، وقد صِيغ من الجذر(ب ع ل) كلمات كثيرة ، كما تعدّدت طرائق استعماله ، من مثل: بَعَل ، ويبعَل ، وبعلاً ، وبعولة ، ومستبعِل ، والبِعال ، والمباعَلة ، والتباعل ، وأسفر هذا التعدد عن ظهور أنساق لغوية متنوعة ، تحمل إمكانات تعبيرية ، تختلف اختلافًا حسب توظيف العنصر اللغوي في النسق اللغوي ، واستطاع الباحث توزيع هذه الدلالات على ثلاثة أركان؛ إذ إنّ جُلّ ما وجده يدور في فلك هذه الدلالات الثلاثة ، أما **الدلالة الأولى** فقد وجدها مركّزةً في الدلالة على الزوج ، ومن ذلك ما ذكره الفراهيدي أنَّ البعلَ الزّوجُ[1] ، وأكّد هذا الفارابي مع انحراف بسيط في الدلالة؛ إذ قصره على الرّجل يتعرّس لامرأته يطلب الحُظْوَة عندها[2] ، وقد تنتقل الدلالة إلى الزوجة[3]، ويكاد يكون مطابقًا لما ذكره الفارابي ما رواه العسكري: أن الرّجل لا يكون بعلًا للمرأة حتى يدخل بها[4] ، وتبقى الدلالة ذاتُها في فترة متأخرة عند ابن تاج العارفين الذي يرى أن البعل هو: الرجل المتهيّئ لنكاح الأنثى ، المتأتّي له ذلك[5] ، ومن الأمثلة التي تسير بركْب ما تقدم ، أو تقدم دلالة جديدة ، قولهم: ولما تُصوّر من الرجل استعلاء على المرأة ، وأنه بسببه صار سائسها والقائم عليها ، شُبّه كلُّ مستعلٍ على غيره بعلا[6] ، ويذكر ابن دريد ، مُعرّجا في الدلالة ، على ما يلزم من طبيعة العلاقة بين الزوجين من قولهم: أخذتُه بالهِنَّمَة ، بِاللَّيْلِ بَعْلٌ وبالنهار أَمَة[7].

و يذكر الخطّابي معنىً لا يندرج في غمار ما بِصدده الباحث؛ إذ يرى أن البعل يُطلَق على مَنْ تلزمه الطاعَة من الأهل : من وَالِدٍ أو ، والدةٍ ، أوْ مَنْ في مَعْناهُما[8]. ومن الدلالات الرافدة لما تقدم ، ما استخلصه الباحث من اشتقاقات البعل ، مما ورد في لسان العرب: بَاعَلَ القومُ قَوْمًا آخَرينَ مُبَاعَلَةً وبِعَالًا: تَزَوَّجَ بَعْضُهم إلى بعْض[9] ، وتكاد الدلالة الإيحائية للفظ تكون أقرب إلى الجنس في ما أورده الأزهري أن البَعَل: حُسن الْعِشْرَة من الزَّوْجَيْنِ ، والبِعال: حَدِيث العروسين[10]. وتكاد الدلالة تنحصر في العلاقة الجنسية في قولهم إن: إن: المُباعلة والبِعال كناية عن الجماع[11].

وأما **الدلالة الثانية** ، فقد وجدها الباحث تتركز في الفهوم الدينية ، أو ما يعرف بالأمور العقدية ، وقد تكثّفت الدلالات ضمن هذا المعنى الدالّ على الربوبية ، بوصف الربّ مالك الدنيا ومتعهدها ، وهذا ما وجده الباحث عند الأزهري في أن "البعل" بمعنى الإله ، أو الرب ، أو السيّد ، وهو صنم مِن ذهبٍ يُعْبَد[12] ، ويوافقه في ذلك الجوهري ، الذي يؤكد أن البعل اسم صنم كان لقوم إلياس عليه

---

[1]) الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، ت ١٧٥هـ ، (١٤١٤هـ) "ترتيب كتاب العين" ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، تصحيح: أسعد الطيب ، منشورات انتشارات اسوه ، إيران ، ط١ ، ج١ص ١٧٨.

٢) الفارابي ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين ت ٣٥٠هـ ،(١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)" معجم ديوان الأدب" ، تحقيق: أحمد مختار عمر ، مراجعة: إبراهيم أنيس ، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ، القاهرة ، ج١ ، ص١٢٤.

٣) الفارابي ، "معجم ديوان الأدب" ، ج١ص ١٢٤.

[4]) العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ، ت بعد ٣٩٥هـ ،(١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) ، "الفروق اللغوية" ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ص ٣١٧.

٥) ابن تاج العارفين ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف ، ت: ١٠٣١هـ ، (١٤١٠هـ -١٩٩٠م)"التوقيف على مهمات التعاريف" ، عالم الكتب القاهرة ، ط١ ، ، ص ٨٠.

[6]) ابن تاج العارفين ، التوقيف على مهمات التعاريف ، ص ٨٠

٧) الهِنّمة: تطلق على الخَرَز الّذي تُوَخَّذ به النساء أزواجهن ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن ، ت ٣٢١هـ ،(١٩٨٧م) "جمهرة اللغة" ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ،ج ٣ص ١٣١١ ؛الهِنّمَة: الدميم القصير ، والرّجل الضعيف ، أنيس ، إبراهيم وآخرون ، (د.ت) ، "المعجم الوسيط" ، دار الدعوة ، ج٢ ،ص ٩٩٢.

٨) انظر: الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد البستي ، ت ٣٨٨ ،(١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ، "غريب الحديث" ، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي ، دار الفكر ، دون طبعة: ج١ ص٦٠٦.

٩) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، ت: ٧١١هـ ، (١٤١٩هـ – ١٩٩٩م)"لسان العرب" ، تصحيح: أمين عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط ٣ ، مادة بعل

١٠) الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ، ت ٣٧٠هـ ،(١٩٧٥ -١٩٧٦)"تهذيب اللغة" ، تحقيق ،عبد السلام هارون وآخرون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ، باب العين واللام مع الباء.

[11]) ابن تاج العارفين ، "التوقيف على مهمات التعاريف" ، ص٨٠.

[12]) الأزهري ، "تهذيب اللغة" ،مادة بعل ، ج٢ ص ٤٠٧ – ٤٠٨.

السلام[١٣] ، بينما يذكر الخطابي شيئًا يكاد يكون ممهّدا لانتقال الدلالة من الحقيقة إلى المجاز ، في أن بَعْلَ الدَّارِ وبَعْلَ الدّابّة مالِكُها[١٤] .

وأما **الدلالة الثالثة ،** فقد تجلّت علاقتها بالأرض وما تُنبته من نباتات لا تعتمد على الرّيّ.

فالأرض البَعليّة هي: أرضٌ مرتفعة لا يُصيبُها مطر إلاّ مرّةً في السّنة[١٥] ، وتنحرف الدلالة قليلا عندما تقتصر على الأرض المستعلية على غيرها[١٦] ، وتتعلق الدلالة بما تنتجه الأرض من نبات سَقَتْه السَّماء ، وما شَرِب بعُروقه من عُيونِ الأَرضِ من غير سَقْيٍ ولا سَماءٍ[١٧] . وذات الدلالة يؤكدها ابن منظور في أن "البعل" هو: كُلُّ شَجَرٍ أَو زَرْعٍ لَا يُسْقى[١٨] ، وتنتقل الدلالة من باب المشابهة بين الأرض والإنسان ، في أن الإنسان يكون بعلًا إذا بَعِلَ بأمره ، فأُدهِش وثبَتَ في مكانه ثُبوتَ النخلِ في مَقرّه[١٩] .

وقد تشترك المرأة مع الرجل في الاستعمال اللغوي ، على حدّ قول ابن السّكّيت ، في أن المرأة بعلٌ وبعلة[٢٠] ، والمصدر بعولة[٢١] ، وما كان ارتهان مجيء (الهاء) في اللفظ ، إلا لتأكيد التأنيث حسب مذهب سيبويه[٢٢] ، ولتأنيث الجمع حسب قول ابن الأثير[٢٣] . وبطبيعة الحال فإن بعض النماذج اللغوية من الشعر العربي تصلح للتأشير على أن ثمّة تنوعا في الاستعمالات اللغوية ، وتمثيلا على ذلك ما أنشده ابن السكيت[٢٤]:

شَرُّ قَرِينٍ لِلكَبِيرِ بَعلتُهْ تُولِغُ كَلْبا سُؤْرَهُ أوْ تَكْفِتُهْ

وفي تأنيث اللفظ " بعلة" يرى الباحث أنّ اللغة لم تستخدم التاء لتمييز الذكر والأنثى في الزمان القديم ، بل إنّ الساميين كانوا يفرقون بين المذكر والمؤنث بكلمة للمذكر وأخرى للمؤنث[٢٥] ، وذلك نحو: الذكر والأنثى ،والأب والأم ، والرجل والمرأة ، والشيخ والعجوز ، [٢٦] ، والحمار والأتان ، [٢٧] ، والغلام والجارية ، والكبش والنعجة ، وفي العبرية: الأيل والترخِل[٢٨] ، وفي السريانية والآشورية: الجَدْي والعَنْز[٢٩] . والعرب تجيز تأكيد المؤنث- وإن لم يحسّوا لَبْسًا- فيقولوا: عجوزة وأتانة[٣٠] ، وهذا أمر طبيعي ظاهر في اللغة ، فإنّا نرى الضمائر تنقسم إلى مذكر ومؤنث ، والأسماء الموصولة كذلك ، وأسماء الإشارة وغيرها ، ولكن الأمر لم يبقَ على حالة واحدة ، فقد ظهرت في أول أمرها استجابة موضوعية لتطورات الحياة ، وتطور فكرة التأنيث في العربية ، فلم تعد الكلمة قادرة على تأدية الدلالة الموضوعة لها ، فاضطره الاقتصاد اللغوي إلى الابتعاد عن الإسراف والتبذير في عدد الكلمات ، فاكتشف علامات للتأنيث.

وبناءً على ما يقوله علماء اللغات السامية ، فإن هذا يقتضي أن كلمة" بعلة" لم تكن من الألفاظ السامية القديمة؛ لأن ظاهرة التأنيث بالتاء مرحلة متأخرة نسبيًّا ، ويترتب على هذا ثلاثة أمور: أحدها أن "البعل" كان يرادفه لفظ مؤنث كالصاحبة ، أو الأهل ، أو الزوج ، أو غيرهم ، أو لفظ آخر ، ومع مرور الزمن انقرض اللفظ ومات ، ولم يصل إلينا. وثانيها : أن يتمَّ الاكتفاءُ باستخدام اللفظ دالًّا على المذكر والمؤنث على حدّ سواء ، فالرجل بعل ، والمرأة بعل. وثالثها : أن التأنيث بالتاء ظاهرة قديمة جدًا ، ويكون لفظ" بعلة" مما أُنّث قديمًا ووصَلَنا بهذا الشكل ، وهذا بعيد حسب الدراسات السامية.

والذي يراه الباحث ويطمئن إليه ، أنّ لفظ "البعل" قد ظهر في الحيّز اللغوي ، وأخذ موقعًا دلاليًّا معيّنًا، وكأنه اقترن بالإله الكنعاني برهة من الزمن ، ثم ابتعد عن موقعه الأصيل ، ليضفي شيئا من التوسع الدلالي على الشكل القديم ، وربّما يكون مَمَهِّدًا لانتقاله إلى دلالة جديدةٍ ارتبطت بالرجل ولاسيّما المتزوج ، وكأن الزواج غدا أمرًا دينيًا مقترنًا بالبعل ، ثم توسّع المُستخدِم اللغوي في الاستعمال ، حتى صار يدلّ على الرجل: متزوجا أو غير متزوج ، واستجابةً موضوعية لتطورات الحياة ، ظهر على السطح لفظ" الزوج" في الحيّز اللغوي ، مضفيًا دلالة اجتماعية خاصة ، شكّل فيها مع اللفظ الأول ثنائية مغايرة تماما ، فالأول بات يدل على الرجل المتزوج ،

---

١٣) الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد ، ت ٣٩٣هـ ، ،(١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ،ج٤ ص ١٦٣٥.

١٤) الخطابي ، "غريب الحديث" ،ج١ ص٦٠٦.

١٥) الجوهري ، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" ، ج٤ ص ١٦٣٥.

١٦) الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، ت: ٨١٧هـ ،(دون تاريخ) "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" ، تحقيق: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، بعل ، ج٢ص ٢٦٠

١٧) الجوهري ، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" ، ج٤ ص ١٦٣٥.

١٨) ابن منظور ، "لسان العرب" ، بعل ج١ ص ٤٩٩.

١٩) السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف ، ت: ٧٥٦هـ ، (١٤١٧هـ – ١٩٩٦) "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ج ١ص ٢١٠ -٢١١

٢٠) ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، ت: ٤٥٨هـ ، (١٤١٧هـ – ١٩٩٦م) ، "المخصص" ، تحقيق ، خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ،ج ١ص ٣٥٨

٢١) البعولة: جمع أو اسم جمع ، كما يرى سيبويه.إذ يجمع البعل على البعول أو على البعولة ، مثل: ذَكر = ذكور وذكورة ، وفحل= فحول وفحولة ؛ ابن سيده ، "المخصص" ، ج١ص٣٥٨ ؛ ابن منظور ، "لسان العرب" ،ج١ ص ٤٩٩.

٢٢) ابن منظور ، "لسان العرب" ، بعل ، ج١ص ٤٩٩.

٢٣) ابن منظور ، "لسان العرب" ، بعل ، ج١ص ٤٩٩.

٢٤) ابن سيده ، "المخصص" ، ج١ص٣٥٨

٢٥) انظر: برجستراسر ،(١٩٩٤م) ، "التطور النحوي للغة العربية" ، تقديم وتعليق: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ص ١١٤ ؛ عبدالتوّاب ، رمضان ، (١٩٩٧م)"المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي" ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ص ٢٥١.

٢٦) هي المرأة الكبيرة السِّن ، وقيل: تسمى عجوزًا إذا زادت على الأربعين سنة ، وجاءت بغير هاء لاختصاص الاسم بالمؤنث ، الهروي ، أبو سهل محمد بن علي بن محمد ، ت: ٤٣٣هـ ، (١٤٢٠هـ)"إسفار الفصيح" ، تحقق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش ، منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، السعودية ، ،ج ٢ص٧٨٩ -٧٩٠.

٢٧) الأتان أنثى العير وهو الحمار ، المصدر السابق ، ج٢ ص ٧٩٠.

٢٨) عبدالتوّاب ، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي" ، ص ٢٥١.

٢٩) عبدالتوّاب ، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي" ، ص ٢٥١.

٣٠) عبد التواب ، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي" ، ص ٢٦٥.

والثاني ارتبط بالمرأة المتزوجة ، ولمَّا حاول بعض اللغويين استحداث صورة جديدة " زوجة" لِلَفظ" زوج" ظنًا منه أن اللفظ لم يعد قادرًا على تأدية الدلالة الموضوعة له ، رأى الأصمعي في هذا الصنيع أقسى محاولة في تخديش بضاضة اللفظ ، وتقويض دلالته ، بل ربّما يكون هذا الصنيع طريقا لوأد اللفظ الأصيل " بعل" وبَعْث اللفظ" زوج" وصورته الجديدة ، وهذا ما حدث بعد فترة زمنية حيث قضى اللفظ الجديد وصورته على اللفظ القديم ، ولم يبق له وجود إلا في استعمالات لغوية محددة ، حفظتها نماذج لغوية شعرية ونثرية ، إضافة إلى ما حفظه القرآن الكريم.

ثانيًا: البعل في القرآن الكريم:

وممّا هو مؤكَّد أن طاقة اللغة وإمكاناتها ، لم تُستنفذ في الخطاب القرآني بعد ، أو حتى في شِعر العرب؛ إذ إنّ كلا منهما جاء على ما يقتضيه القول فيهما من جوانب اللغة ، ومن القمين بالاعتقاد أن القرآن الكريم امتاز بالدقة في اختياره للوحدات الدلالية ، أكثر من الشِّعر العربي ، والنثر العربي؛ لذا يقوم الباحث في هذا المحور برصد الآيات التي ورد فيها لفظ "البعل" في القرآن الكريم ، ومحاولة قراءتها في مضامينها وسياقاتها التي جاءت فيها ، حيث إن القرآن الكريم وظّف لفظ البعل في خمس سور تنوّع نسقها اللغوي بين المكّي والمدني ، وهذه غاية الباحث التي يسعى إليها.

الآية الأولى:

قال تعالى:﴿ **أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ**﴾ [الصافات:١٢٥] ، أي ربّا[٣١] ، وإلهًا[٣٢] ، وكان سائر بني إسْرائيل قد اتَّخذوا صنمًا يَعبدونه مِنْ دُون اللّه يُقال له بَعْلٌ "[٣٣]. ولم يطلق اللفظ بهذا المعنى في القرآن الكريم في غير هذا الموضع ، ويرى الباحث أنّ "البعل" في هذه الآية الكريمة هو علم لِصنم محدد ، وليس بمعنى الرب ، أو الإله كما ذكر سابقا ، وذلك من وجوه:

الأول: السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة ، يدل على أنها كانت على لسان نبي الله إلياس ، أحد أنبياء بني إسرائيل[٣٤] ، وقد قال هذا الكلام مُنكِرًا فيه على قومه الذين اتخذوا البعل إلهًا لهم يعبدونه من دون الله ، فكذّبه قومُه إلاّ مَن كان مؤمنًا ، قال تعالى:﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٢٦ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٣-١٢٨] ، ويتضح من قوله " **أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ** " أن البعل كانت تنسب له صفات متعلقة بالخلق.

الثاني: ما ورد في كتب التفسير أن البعل كان عَلمًا لِصَنم لهم كَنَعَانَةَ وهُبَل. وقيل: كان من ذهب ، وكان طوله عشرين ذراعًا ، وله أربعة أوجه ، فُتنوا به ، وعظّموه حتى أخدموه أربعمائة سادن ، وجعلوهم أنبياءه ، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة ، والسَّدنة يحفظونها ويعلمونها الناس ، وهم أهل بعلبك من بلاد الشام ، وبه سميت مدينتهم بعلبك[٣٥].

الثالث: أن الكنعانيين وغيرهم قد اتخذوا أكثر من إله ، ولم يكتفوا بإله واحد ، وكان كل إله يختصّ بشأن من شؤون حياة عَبَدَتِه ، وقد ذكر القرآن الكريم أسماء عدد منها من زمن نوح – عليه السلام- ودّ ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ونسر ، ومن أسماء الآلهة التي كانت تُعبد عند الكنعانيين: إيل ، وإيلة" أم الآلهة الكنعانية[٣٦] ، وعشتار ، وعنات ، وبها تسمّت مدينة بيت عناتا في فلسطين ، وقد ورد في الأخبار أن الكعبة شرّفها الله –كان حولها ٣٦٠ صنمًا يوم فتح مكّة رسولُ الله - ﷺ[٣٧] ، ومن أسمائهم: هُبل ، واللات والعزى ، ومناة ، وإساف ونائلة ، وذو الخلصة ، وذو الكفين وذو الشرى ، ونهم ، وسعير والفلس[٣٨] ، وهذا يدل على أن هذه أسماء أصنام ولا تعني إلها أو ربّا ، وكان " البعل" واحدًا من هذه الأسماء.

وربما يكون انتقال الدلالة من(البعل) الإله ، أو الرب ، إلى الرجل قديما أمرًا شائعًا ، وقد حدث الاشتراك في أكثر من كلمة ، فكلمة" رَبّ" تطلق على رَبّ الأسرة" الرجل" ، وعلى الإله ، ومما يشجع انتقال الدلالة أن "البعل" الأله ، مُذكّر لفظا وصفة ، وقد اشترك في هذا مع الرجل ، كما اشتركا في صفة الربوبية ، وقد ثبت أنّ كثيرًا من الناس قديمًا كانوا يتَسَمون بأسماء الآلهة وسيأتي الحديث عنه لاحقًا ، و فيما بعد باتوا يسمّون أبناءهم بأسماء الله تعالى وصفاته مثل: المؤمن ، فقد صار صفة للإنسان ، وقد تسمى به أيضا ، وكذلك عبد العزيز وعبد الرشيد وعبد الكريم ، فهناك من يسمي بـ عزيز ورشيد وكريم بغير" عبد". وهذا يعني أن الصفة مشتركة لفظًا بين العبد وربه ، وكذلك الحال في البعل والرجل ، فقد اشترك الرجل "البعل" في الاسم مع الإله" بعل" من باب التقارب في الصفات ، وربما من باب الاشتراك فيها.

الآية الثانية:

لقد ذكر القرآن الكريم لفظًا للمفردة " بعل" في قوله تعالى:

---

[٣١] البلخي ، مقاتل بن سليمان ،ت: ١٥٠هـ ، (١٤٢٣هـ)" تفسير مقاتل" ، تحقيق: عبدالله محمود شحاته ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ج٥ ص ٦٩ ؛ البعل هو الرّب بلسان أهل اليمن ، الرازي ، أبو عبدالله محمد بن عمر ، ت: ٦٠٦هـ ، (١٤٢٠هـ) "مفاتيح الغيب"= "التفسير الكبير" ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ،ج٢٦ ، ص ٣٥٤.

[٣٢] الطبري ، محمد بن جرير ، (٢٠٠١م)"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ، تحقيق: عبدالله عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر ، ط١ ، ج١٩ ، ص ٦١٢

[٣٣] الطبري ، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ، ج١٩ ، ص٦١٥ ؛ الرازي ، "مفاتيح الغيب= التفسير الكبير" ، ج٢٦ ، ص ٣٥٤.

[٣٤] الطبري ، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ، ج١٩ ، ٦١٥

[٣٥] الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، ت ٥٣٨هـ ، "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج٤ص٦٢.

[٣٦] انظر ص ١٩ من هذا البحث.

[٣٧] البلخي ، "تفسير مقاتل" ، ج١ ، ص ١٣٨

[٣٨] انظر: الكلبي ، "كتاب الأصنام" ، ص٩ ، ص١٥ -١٦ ، ٣٤ ، ٣٧

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: 72] التي تمحورت حول معنىً واحدٍ لم تتجاوزه كامنٍ في العجز الجنسي غير المتناهي ، بحيث كان التعبير القرآني يحمل مفارقة من نوع خاص ، شكّل صدمة لامرأة إبراهيم عليه السلام ، فلم تستطع حواس إدراكها إدراك المعنى الذي حملته مضامين الآية ، الذي بمجمله شكّل إعجازًا ، فهي في السياق النحوي امرأة عجوز (أنا عجوز) كبيرة السنّ قد أيست من الحمل كما يذكر المفسرون[٣٩] ، وكان التحوّل في الصيغة التركيبية نقطة مركزية تلفت الانتباه إلى التحول الدلالي المنشود ، فقد كان يقتضي أن تكون صيغة إخبارها عن بعلها بالطريقة الاسمية نفسها فتقول: وهذا بعلي شيخٌ ، ولكن التركيب جاء مغايرًا بالنصب دلالة على الحال ، لتؤكد الدلالة الجديدة المكتسبة في الحال التي آلَ إليها بعلها ، وكأنها تقول لمن لا يعرفه: هذه حال بعلي التي آلَ إليها ، فكيف أَحمِل وأَلِد ممن هذه حاله؟ وكأنها تريد أن تقول: كيف يتم الحمل بغير اتصال جنسي؟ ولو كان الاتصال يحدث بينهما لَما كان ينبغي لها التعجب ، ولَمَا اقتضى أن يكون الأمر معجزًا ، فما ذَكَرته من أوصاف تجعل الحمل مستحيلا ، ولكن إرادة الله تعالى اقتضت أن يحدث أمر معجز ، والمعجزة بوصفها" معجزة" هي خرق لقوانين الطبيعة.

وبما أن الآية في سياق المعجزة فهذا يؤكد أن تعجبها أمر طبيعي ، ما يلاحظ في الآية أن البعل هو الزوج غير القادر – نوعا ما- على القيام بتحقيق الغاية من الوظيفه الجنسية (الجماع) ، نتيجة الكِبَر والتقدّم في السن لكليهما أو لأحدهما.

وما يلاحظ أيضًا أنّ سورة الصافات قد استخدمت لفظ البعل بمعناه السامي القديم "الإله" ، واستخدم اللفظ في سورة "هود" للدلالة على الزوج ، والفترة الزمنية التي عاش فيها سام بن نوح هي فترة موغلة في القِدَم ، أتت بعد نوح -عليه السلام ، وإبراهيم عليه السلام جاء في فترة متأخرة نسبيا عن نوح وولده سام ، فإذا أخذنا ذلك بعين الاعتبار؛ وجدنا الدلالة قد انتقلت من الإله إلى الزوج.

الآية الثالثة:

قال تعالى﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٨]

لا تخلو الحياة الزوجية من مشاكل وخلافات أسرية ، قد تصل بالزوجين في حال الغضب وعدم التروي إلى الفرقة والتلفظ بألفاظها ، وإنّ المتأمل في سياق الآية ، يرى أنها مرتبطة بالطلاق الرجعي (**وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ**) يعني أزواجهن ، سمّي الزوج بعلاً لقيامه بأمور زوجته ، وأصل البعل السّيّد والمالك " أحق بردهن " أولى برجعتهن إليهم[٤٠] و في هذا نظر ، فكيف يمكن لمن طلّق امرأته أن يقوم بأمرها؟

إن المرأة المطلقة ههنا مطلقة طلاقا مُعلّقا ، وأنه بمقدور بعلها إعادتها إلى عصمته إن رغب في ذلك ، وعليها أن تقضي فترة العدّة في بيت بعلها وليس لها أن تغادره لقوله تعالى:﴿ **لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ** ﴾ [**الطلاق:١**] وبالتالي فإن البعل مكلف بقضاء حوائجها ما دامت في بيتها كما وصف الله ذلك ، حيث نسب البيت لها لا لبعلها ، ولَمّا تنتهي فترة العدّة ، وفي بقائها في بيت بعلها قد تتحقق بعض الأمور لقوله تعالى : ﴿**لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**﴾ [الطلاق:١] كأن يحدث في قلب المطلق الرحمة والمودة فيراجعها ، ويستأنف عشرتها ، أو لَعلّه طلقها لسبب منها ، فيزول ذلك السبب في مدة العدة ، فيراجعها لانتفاء السبب ، أو لغير ذلك ، وهذا ليس مكان البحث فيه. لكن ما يستنتج من الآية ، أن البعل قائم بأمور امرأته من نفقة وكسوة ومسكن ، ولا يمارس الجنس معها ، وإذا فعله فإن هذا يعني عودتها إلى عصمته ، وبهذا ينتهي الطلاق.

الآية الرابعة:

قال تعالى:﴿ **وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء:١٢٨] ولتوضيح المراد من لفظ البعل لا بدّ من ذكر سبب نزول الاية الكريمة ، فهو كما يذكر المفسرون: أنها نزلت في عمرة ، ويقال: في خولة بنت مُحَمَّد بن مسلمة ، وفي زوجها سعد بن الربيع- ويقال: رافع بن خديج - تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج عليها امرأة شابة ، وآثرها عليها ، وجفا ابنة مُحَمَّد بن مسلمة ، فأتت رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم- فَشَكَتْ إليه ، فنزلت هذه الآية. وقال سعيد بن جبير: كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج عليها غيرها ، فقالت: لا تطلقني ودعني أقوم على أولادي ، واقسِم لي من كل شهرين إن شئت ، وإن شئت فلا تقسم لي. فقال: إن كان يصلح ذلك فهو أحب إلي ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك ، فأنزل الله تعالى:"وإن امرأة خافت"أي علمت"من بعلها" ،أي: من زوجها "نشوزا "أي: بغضا ، قال الكلبي: يعني ترك مضاجعتها[٤١].

يُبيّن سببُ نزول الآية الكريمة في القصة الأولى أنَّ المرأة قد كبرت ، وجفاها بعلها وتزوج غيرَها ، والقصة الثانية تبين أيضًا كِبَر المرأة ،

---

[٣٩] انظر: البغوي ، محمد بن الحسين ، ت: ٥١٠هـ ، (١٤٢٠هـ) ، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"= تفسير البغوي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ج٢ص٤٥٧ ؛ القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ت٦٧١ هـ ، (٢٠٠٣ م) "الجامع لأحكام القرآن" ، تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ط٢ ، ج٩ص٧٠.

[٤٠] انظر: البغوي ، "معالم التنزيل" ، ج١ ص٣٠٠

[٤١] البغوي ، "معالم التنزيل" ، ج ١ ، ص ٧٠٨.

وعدمَ رغبة بعلها فيها ، وخصوصًا فيما يتعلق بأمور الجماع ، وذلك واضح من قول الكلبي -السابق ذكره -.

إن سياق الآية الكريمة يتحدث عن الخصام والنزاع ، والإعراض والصّلح بين البعل وامرأته ، وهذه كلها لم تصل إلى مرحلة الطلاق النهائي "البائن" ، فهي أمور تحدث في بيت الزوجية ، ويتعيّن على ربّ البيت أن يقوم بواجباته ، وأن يقضي حاجات أهله ، رغم هجره فراش امرأته وبعده عن معاشرتها وجماعها ، أي : أن البعل هو القائم في أمور بيته ولكنه لا يعاشر امرأته لعارضٍ أو مانعٍ بينهما.

الآية الخامسة:

قال تعالى:﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ** ﴾ [النور: ٣١]

ذكرت الآية الكريمة أنّ مَن يحق للمرأة إظهار زينتها أمامهم وهم : بعلها وابنه وأبوه ، وأبوها ، وأخوها وبنوه ، وأبناء أخواتها ، وغيرها من النساء ، والتابع غير أولي الإربة من الرجال ، أي الذي لا يشتهي النساء ولا حاجة له فيها ، كالمريض والمخنث وغيرهم ، والصنف الأخير هم الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولّما يبلغوا حد الشهوة.

إبداء الزينة في هذا الموضع يستحق التأمل والتدبر ، ولا سيما أن المذكور هو بعلها ، ومما هو معلوم أن الزوج يحق له أن يرى من زوجه ما لا يراه غيره ، كما أنّ الشرع لم يضع حدّا معيّنا للزوج من رؤية جسم امرأته ، فما الحكمة من ذكره ههنا؟ مما يلاحظ أن الآية الكريمة لم تذكر لفظ "الزوج" ، بل ذكرت لفظ "البعل" ، مع أنهما يقعان في حقل دلالي واحد ، وهذا دليل كبير على أن البعل في دلالته يخالف دلالة الزوج. فمن هو البعل ههنا؟

البعل في الآية الثانية رجل كبير السّنّ ، قد لا يقدر على الجماع ، أو لا يرغب فيه ، وربما لا ترغبه امرأته ، وبالتالي فهو لا يمارس هذا الشيء ، وفي الآية الثالثة: رجل مطلّق لامرأته ، وفي الآية الرابعة: البعل رجل بينه وبين امرأته خلاف ومشاكل ، وفي الآية الخامسة رجل يحق للمرأة أن تبدي زينتها أمامه.

ومستصفى القول بناءً على الآيات السابقة: فإن البعل في الآية الخامسة تحديدًا هو الرجل الذي حصل بينه وبين امرأته ما يمنع من إقامة علاقة كاملة ، ولاسيّما فيما يتعلق بالجماع والمعاشرة ، فهو إما مُطلّق لامرأته ، طلاقًا غير بائن ، أو مُظاهِر منها ، أو بينهما خصام ونشوز وإعراض ، وغير هذا ما أشبهه ، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ المرأة المطلقة أو المظاهَرة ، تتحرج في إبداء زينتها أمام بعلها الذي طلّقها ، أو أمام بعلها الذي حل الخصام والنزاع في بيته ، مما ترتب عليه خصامها وهجرانها ، وهنا تنبه الآية إلى جواز إبداء الزينة أمامه وليس عليها حرج في ذلك بل ربما كان هذا أدعى في إذهاب الخصام بأمر يسير تقوم به المرأة ما دامت في بيتها ، وللتأكيد على هذا أودّ أن أذكر بعض الآراء الفقهية فيما يحلّ للمطلقة طلاقا رجعيا أن تفعله ما دامت في بيتها لم تفارقه ولما تنتهِ فترة العِدّة. فقد ذهب الحنفية ، والحنابلة ، والشافعية ، إلى أنه يباح للزوجة التزين ، والتطيب ، والتشوف لزوجها؛ لأنه أدعى في مراجعتها؛ ولأنها حلال للزوج ، ولعلّ الأَوْلى بالمرأة في هذه الحال أن تتشوف لزوجها بكامل زينتها لَعلّه يراجعها ، ولا سيما وأنها في حكم الزوجات[٤٢]. و يملك منها ما يملكه ممن لم يطلقها ولها ما للزوجات من نفقة وكسوة ومسكن ، وعليها حكم الزوجات ، من لزوم مسكن ونحوه ، لكن لا قسم لها ، فيصحّ أن تُطلق وتلاعَن ويلحقها ظهاره وإيلاؤه ، ولها أن تتشوّف له وتتزين ، وله السفر والخلوة بها ووطؤها ، وتحصل الرجعة أيضا بوطئها ، ولو لم ينوِ به الرجعة[٤٣] ، وَيُكْرَهُ التَّقبيلُ وَاللَّمْسُ بِغير شهوة إذا لَمْ يُرِد الرَّجْعَةَ ، وَيُكْرَهُ أَنْ يَرَاهَا مُتَجَرِّدَةً [٤٤].

يختم البحث من هذا أن "البعل" في القرآن الكريم هو اسم إله عبدته الأمم السابقة الكنعانية والعبرانية ، وهو أيضًا الرجل المتزوج المكلّف بإعالة أهله (امرأته) وعليه واجبات الشرع كاملة ، لكنه لا يعاشر امرأته لأي سبب كان. وهذا قريب من المعنى اللغوي الذي ذكر: إن البعال هو التحبّب والتزيّن ، وما يدور في مدلوله ، ولكنه لا يصل إلى درجة الجماع والمعاشرة الزوجية ، وهذا يعني تضييق دلالة البعل في القرآن الكريم من الزوج بمعناه العام إلى معنى يوحي بالجنس.

ثالثا: البعل في الشعر العربي:

يتولى هذا الجانب التكفل بالدلالات المختلفة التي أثارتها كلمة " بعل" ، ففي إطار الشعر تم تداول المفردة عند أكثر من شاعر ، وقد رأى الباحث أن دلالات المفردة الشعرية قد تباينت من شاعر لآخر وفقًا للوظيفة التي تنهض بها ، وها هو الجميح الأسدي يوظف اللفظ للدلالة على الزوج في قوله[٤٥]:

---

٤٢) "الموسوعة الفقهية" ، رقم الفتوى: ٥٦٦٠٤
http://www.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=162065

٤٣) البهوتى ، منصور بن يونس الحنبلي ،ت: ١٠٥١هـ ، (١٤١٧هـ). "الروض المربع شرح زاد المستقنع" ، ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي. خرج أحاديثه: عبد القدوس محمد نذير ، دار المؤيد ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ،

٤٤) ابن نجيم المصري ، زين الدين بن إبراهيم بن محمد ، ت: ٩٧٠هـ ، (دون تاريخ) ، "البحر الرائق شرح كنز الدقائق" ، وفي آخره ، "تكملة البحر الرائق" ، لمحمد بن حسين بن علي الطوري ، ت بعد ١١٣٨ هـ ، وبالحاشية: "منحة الخالق" ، لابن عابدين ، دار الكتاب الإسلامي ط٢ ، ج٤ص ٦٠.

٤٥) الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم ،ت نحو ١٦٨هـ ،(دون تاريخ) "المفضليات" ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٦ ، ص ٣٦٨.الجُميح الأسدي شاعر وفارس جاهلي ، هو منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف ، أبوه الطماح صاحب امرؤ القيس ، قُتل في يوم جبلة عام مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، الأشعث: البائس الفقير. الأرمَلة: المحتاجة المسكينة.

أوْ مَنْ لأشعثَ بعلِ أرملةٍ

مثلِ البليّةِ سَمْلةِ الهدمِ

فقد اقتصر ذكر اللفظ " بعل" على دلالة الزوج بعمومية المعنى ، فظل متواريًا وعلى استحياء ولم يجاوزه شيء من التغيير ، في دلالة المعنى الكامن في النهوض بمهمة إيجابية ، ويؤكد هذا المعنى تواتره في قول حميد بن ثور[٤٦]:

قَضى ربُّها بَعْلاً لها فَتزوّجَتْ

حَليلاً ، وما كانت تُؤَمِّلُ مِنْ بَعْل

فقد أراد الله لهذه العجوز أن تتزوج ، فتزوّجَتْ ، ثم أراد لها أن تنال ما كانت تؤمله من الزواج وهو الحمل ، أو قضى لها ما كانت تؤمل من بعل يوافقها ، وهذا البيت يؤكد الدلالة السابقة للبعل ألا وهي الزوج ، ومما يلاحظ في الاستعمال أن البعل والزوج من الألفاظ المترادفة.

أمّا علقمة الفحل[٤٧] فقد طوّر الدلالة الأولى ، مضفيًا حديثًا أكثر وضوحًا ، فيما يتعلّق بوظيفة البعل ، وإن جاء في إطار الحديث عن ذِكر صفات الزوجة ، إذ أبرزَ ملمحًا دلاليا جديدا ، في لفظ البعل يستحق التوقف عنده ، ولعلّ ذِكر "بعل" مرّتين جعله مركزًا وتبئيرًا للوظيفة التي يؤديها ، إذ تبدو المرأة أكثر امتلاء ، واستعدادًا ، وهي تعمل من أجل هذا الاستعداد الكامن ، في عملية التحضير لممارسة الجنس مع البعل ، بالشكل الذي يرضيه في قوله:

إذا غابَ عَنْها البَعلُ لمْ تُفْشِ سِرَّه

وتُرضي إيابَ البَعْلِ حينَ يؤوب

و نرى هنا استعمالين للفظ البعل في البيت ، ففي الشطر الأول ، خلع الشاعر دلالة عامة للبعل على (الزوج) ، ففي عجز البيت ، تحرص المرأة على إرضاء بعلها عند عودته ، مبدية الزينة والتجمّل ، و ربما تلاعبه وتقضي ليلة جميلة معه ، منتهية بالمعاشرة والجماع ، وهنا نرى الشاعر قد أضفى على الدلالة اللغوية للفظ البعل دلالة جنسية؛ معتمِدًا على أنّ بعض اللغويين ، يرى أن الرجل لا يكون بعلاً للمرأة حتى يدخل بها(يجامعها)؛ وَذَلِكَ أَن البعال التِّكَاح والملاعبة[٤٨] ، يسعفهم في ذلك ما تدلّ عليه كلمة" تُباعله" الواردة في قول الحطيئة[٤٩] التي تؤكد هذه الوظيفة بشكل أكثر صراحة ووضوحًا:

وَكَم مِن حَصَانٍ ذاتِ بَعلٍ تَرَكتُها

إذا الليلُ أدْجى لمْ تجدْ مَن تُباعِله

وهنا تم توظيف لَفظَي: البعل وتباعله ، وتتضح الرؤية الجمالية لاستخدام اللفظ في عجز البيت تحديدًا ، التي تصِف مدى الحيرة الناتجة عن حالة الفَقْد وبالتالي الحرمان ، وتغدو المفردة " بعل" مركزا في البيت الشعري ومصدرا مهمًا ، وباستطاعة الباحث القول:إن باقي البيت الشعري قائم عليها ، ولكن بعد التأمل في دلالة اللفظ يغدو مخيبًا للآمال إذ تنتفي وتتلاشى الغاية أو القيمة المؤمل النهوض بها ، وهنا تبدو الكلمة" تباعله" أكثر تأزيما؛ لأنها تعبّر عن حاجة غريزية معبَّأة بجهوزية عالية المستوى لإشباع هذه الغريزة ، وتُظهر الكلمة أيضًا بؤرة التوتر الممتلئ شعورًا بالحاجة إلى الزوج الذي يفي باحتياجات هذه المرأة ، وكأن كلمة " تباعله" توازي وتكافئ المفردة البديلة " تضاجعه" ولكن المفاجأة تبدو أكبر ؛ لأن الزوج في مثل هذا الظرف مفقود.

ويرى الباحث مما سبق أن لفظ البعل كان مرادفًا للفظ الزوج في نسق لغوي ، ومرتبطا بالعملية الجنسية في استعمال لغوي آخر ، وكأنّ البعل هو الزوج المعلّق عن الوظيفة الجنسية ، وقد وجد الباحث أن مدلول كلمة " بعل" يتصادم مع ما وقر في أذهان العامة ، من قصرها على الزوج بعمومية اللفظ ، فإن البحث خلص من الآيات القرآنية ، والشعر العربي ، أنّ كلمة بعل تطلق على الزوج الذي لا يقوم بعملية جنسية تامّة ، مع امرأته لأي سبب كان.

ولدى تتبع لفظ" بعل" في المعاجم اللغوية وجد أن الحصاد المعجمي لِلّفظ يسعفه لإقامة علاقة من نوع ما ، تصوغ الربط بين المعاني الدلالية المتعددة ، وتوضح سبب هذا التعدد ، لذا وجد الباحث نفسه مضطرًا إلى الاعتماد على المحور الثاني في البحث.

المحور الثاني:

أولاً: الساميات وكتب التاريخ:

تشترك العربية مع اللغات السامية في كثير من الألفاظ ، ولا سيما تلك المتعلقة بالإنسان وأحواله ، نحو: أب ، وأم ، وابن ، وبنت وبعل[٥٠] ، ويمكن بصفة عامة القول: إن الألفاظ المشتركة في اللغات السامية[٥١] من التراث اللغوي الذي عرفته السامية الأم قبل أن تبدأ

البلية: البعير الذي كان لرجل يركبه في الجاهلية ، فإن مات شُد عند قبره وفقئت عيناه ، وشُد عقاله وترك بلا عَلَف حتى يموت ، فكانوا يقولون إن صاحبه إذا حشر يوم القيامة ركب عليه في المحشر. السمل: الثوب الخلق. الهدم: البالي من الأكسية وغيرها.

٤٦) الهلالي ، حميد بن ثور ،(دون تاريخ) ، "ديوان علقمة بن ثور الهلالي" ، تحقيق: عبدالعزيز الميمني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٥١ ، ص ١٢٣.

٤٧) الفحل ، علقمة بن عبدة بن ناشرة ، ت: ٢٠ق.هـ ، (١٩٩٣م) ، "شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل" ، الأعلم الشنتمري ، قدّم له ووضع فهارسه وهوامشه ، حنّا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ص ٢٣.

٤٨) العسكري ، "الفروق اللغوية" ، ص ٣١٧.

٤٩) الحطيئة ، جرول بن أوس ، ت: ٤٥هـ ، (١٩٨٧م) ، "ديوان الحطيئة" ، برواية ابن السكيت ، (ت: ٢٤٦ه) ، تحقيق: نعمان محمد أمين طه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، وقد جاء في الشرح أن الحَصان: ذات بعل ، و تباعله: تغازله ، ص ١٣٥.

٥٠) برجستراسر ، "التطور النحوي للغة العربية" ، ص ٢٠٨.

٥١) المقصود بالمشترك السامي أن هذه الألفاظ توجد في جميع اللغات السامية الرئيسة ، وأنها ترجع إلى أصل اشتقاقي واحد ، كما تتفق إلى حدّ ما في المعنى. انظر: كمال الدين ، حازم علي ، (٢٠٠٨) ، "معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية" ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ص ١٩.

الهجرات السامية حوالي سنة٢٥٠٠ ق. م[٥٢] ، ويدل لفظ "البعل" في المعجم السامي القديم على الإله ، والرب[٥٣] ، أو السيّد ، أو الزوج[٥٤].

أمّا من حيث **الاستعمال اللغوي** فإنّ اللفظ قد ظهر في العبرية" بَعَل ، בעלbacal" ، وفي السريانية baclä [٥٥] ، وفي الآشورية belu[٥٦]. كما ظهرت ألفاظ **مضافة إلى البعل** مثل:(بعل زبوب: **إله** الشياطين ، بعل شامين (شاميم):**إله** السماوات ، بعل هدد: **إله** العواصف ، بعل مرقود: **إله** الرقص ، بعل بريث: **رب** العهد ، بعل فغور(جبل في مؤاب – الأردن): **سيد** فغور ، بعل خامون: **سيد** الأعمدة ، بِل أو بيل: **السيد** بعل ، بلتي: **زوجة** بل)[٥٧] ، ومما يُذكر أيضًا أنّ العبرانيين كثيرًا ما كانوا يسمون ابنهم البكر نسبة إلى "يَهْوَه" [٥٨] ، ويسمون صغارهم نسبة إلى "بعل"[٥٩] ،

ولم يتوقف الأمر في التسمية باسم البعل عند العبرانيين فحسْب ، بل يُذكر أن الغرباء المقيمين في بابل كانوا يتخذون **أسماء بابلية مركبة** تتضمن أسماء الآلهة من مثل: ندنتو بعل: **هبة الرب** بعل ، وبعل ابن: **مخلوق الرب** بعل[٦٠] ، وقد كان البابليون يسمون أولادهم بأسماء مركبة من أسماء آلهة الشعوب [٦١]. ويبدو أن التسمية نسبة للآلهة كانت شائعة لدى الأمم السابقة ، وظهر هذا أيضا عند العرب فقد تسمّوا بأسماء آلهة عبدوها ، أو عبدها غيرهم مثل: عبد شمس ، عبد قيس ، عبد العزّى.

وقديمًا أيضًا ظهرت **الأسماء المركبة من مقطعين** في الحيّز اللغوي على أنها كلمة واحدة ، ومما يُؤشّر به على ذلك بعلبك وإيزابل ، وأثْبَعل ، وكذلك ما ورد في كتب التاريخ أن الملك "أخاب" تزوج "إيزَابَل"[٦٢] ابنة "اثبعل"[٦٣] ملك صور ، وكانت كثيرة التشيع لعبادة البعل ، وحاولت فرض عبادة "بعل " بدلا من عبادة الرّب [٦٤] ، وأدى ذلك إلى نزاع مرير وطويل ، للسيادة على حياة إسرائيل الدينية ، بين عبادة "البعل" ، وعبادة "يهوه" [٦٥].

ونظرًا للصلة الوثيقة بين البعل والأرض قديمًا؛ يرى الباحث أن يذكر شيئًا عن صفات البعل ، فهو كما ورد في أساطير أوغاريت السورية ، أهم إله لدى الكنعانيين ، له صفات ربانية بمعنى: سيد و "إيل" أو "إل" بمعنى إله[٦٦] ، ومن صفاته أيضًا أنه إله العاصفة والخصب والقوة بلا منازع[٦٧] ، أمّا الوظائف التي كان يؤديها أو يقوم بها فهي عديدة ، من أهمها: الدفاع عن البشر والآلهة[٦٨] ، وهو بطلُ الآلهةِ وقاتلُ التنّين "يم" إله المياه ، وهو الرزاق واهب المطر[٦٩] ، جعل الرّعد صوته والبرق سلاحه[٧٠] ، يركب الغيوم ، وينزل المطر المحيي ، وهو بهذه الصورة مصدر خصب الحيوان والنبات[٧١]. وهذه الصفات تدل على عظمته وقوته ، وأنه يكاد يكون الإله المتحكم في خيرات الإنسان ، ولا سيما أن الأرض كانت تنبت زرعها ونبتها من خيره ، الذي يهبه لها عن طريق المطر ، ولذلك نسبت الأرض وما تنتجه إليه ، وما زال لفظ الأرض البعليه مستخدما حتى الآن في بعض الأقطار العربية ، كالأردن ، وبعض مناطق من سوريا ، وفلسطين ، ولبنان. وقد أضحت كلمة "بعل" مرادفة لكلمة "إله" ، وذلك بعد أن أخذ "بعل" مكانة "إيل" وأصبح خليفة له ، وغدت " عشيرة" زوجة له[٧٢] ، وكانت "عشيرة" (أشيرة ، أثيرة) قد ولدت من إيل سبعين ولدا[٧٣] ، وبعد زواجه من عشيرة صار هو الرّب والإله.

---

٥٢) حجازي ، محمود فهمي ،(دون تاريخ) "علم اللغة العربية" ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دط ، ص ٢١٣

٥٣) حجازي ، "علم اللغة العربية" ، ص٢١٤

٥٤) كمال الدين ، "معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية" ، ص ٨٥.

٥٥) كمال الدين ، (٢٠٠٤) ، "علم الدلالة المقارن" ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص ١١٧

٥٦) كمال الدين ، "معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية" ، ص ٨٥.

٥٧) انظر: عبّودي ، هنري ،(١٩٩١) ، "معجم الحضارات السامية" ، مطابع جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، ط٢ ، ص ٢٦ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٢ ، والملاحظ هو عدم الدقة في تفسير اللفظ" بعل" فهو مرّة بمعنى إله ، وأخرى بمعنى سيّد.

٥٨) كانت سلطة "يهوه" على الدولة ؛ بينما شئون الحياة العادية من زراعة وتجارة لم تكن من صلاحياته الرئيسية ، وكان "يهوه" يكتسب كثيرا من صفات "بعل" مما جعله سيد السماء وباعث المطر ، والمسيطر على العواصف ، انظر ، الفيومي ، محمد إبراهيم ، ت: ١٤٢٧هـ ، (١٩٩٤م) ، "تاريخ الفكر الديني" ، دار الفكر العربي ، ط٤ ، ص ٧٧.

٥٩) انظر: الفيومي ، "تاريخ الفكر الديني" ، ص ٧٧.

٦٠) انظر: الفيومي ، "تاريخ الفكر الديني" ، ص ٤٠

٦١) انظر: الفيومي ، "تاريخ الفكر الديني" ، ص ٤٠

٦٢) أظن الاسم مركب من مقطعين "إيزا" أداة التعجب في العبرية و "بيل" بمعنى "البعل" ، بدليل أن بعل في الأكادية "بيلُ" وسقطت العين بتأثير نظام الكتابة المسمارية الذي لا يحتوي على رمز لصوت العين بتأثير من اللغة المسمارية ، انظر ، عبدالجليل ، عمر صابر ، (١٩٩٠م) ، " أسماء الأعلام السامية" ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ،ص ١٨ -١٩ ؛ وافي ، علي عبد الواحد ، (٢٠٠٤) ، "فقه اللغة" ، نهضة مصر ، القاهرة ، ط٣ ، ص ٢٥ وما بعدها.

٦٣) " أثبعل" مركب من مقطعين "أث" و "بعل" بمعنى مع البعل ، أو رجل البعل ، انظر http://www.linga.org/Bible-Names/Meaning-76 ، أسماء الكتاب المقدس.

٦٤) انظر: الدبس ، يوسف ، (١٩٩٤) ،"تاريخ سورية الدنيوي والديني" ، دار نظير عبّود ، بيروت ، ج٢ص٣٥٢ -٣٥٣

٦٥) انظر: الفيومي ،" تاريخ الفكر الديني" ،ص٧٤.

٦٦) انظر: الفيومي ، "تاريخ الفكر الديني" ،ص ٥٤.

٦٧) انظر: حداد ، حسني ، ومجاعص ، سليم ، (١٩٩٥م) ،" أناشيد البعل قراءة جديدة للأساطير الأوغاريتية" ، دار أمواج ، بيروت ، ط١ ، ص ٨٢

٦٨) انظر: http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B9%D9%84#.D8.A7.D9.84.D8.A5.D9.84.D9.87_.D8.A8.D8.B9.D9.84

٦٩) حداد ، ومجاعص ، "أناشيد البعل قراءة جديدة للأساطير الأوغاريتية" ، ص٨٢.

٧٠) حداد ، ومجاعص ، "أناشيد البعل قراءة جديدة للأساطير الأوغاريتية" ، ص٨٢.

٧١) حداد ، ومجاعص ، "أناشيد البعل قراءة جديدة للأساطير الأوغاريتية" ، ص٨٢.

٧٢) انظر: عبّودي ، "معجم الحضارات السامية" ، ص ٦١٠.

٧٣) انظر: عبّودي ، "معجم الحضارات السامية" ، ص ٦١٠.

وتخليدًا لاسمه ، وإظهارًا لألوهيته وعبوديته ، باتت بعض المدن تفخر بوضع تمثال البعل ، في أعلى منطقة في المدينة ، واقترن اسم المدينة باسم البعل ، فيبدأ اسمها بكلمة "بعل" وينتهي باسم تلك البلد أو المدينة ، مثل "بعل فغور" أو "بعل حرمون" (جبل الشيخ- في لبنان). وكانت هذه الآلهة(إيل ، بعل ، عشيرة ،...) مسالمة تمثل قوى الخصب والحياة ، وتتزاوج فيما بينها ، فهي تنقسم إلى ذكور وإناث ، وكانت زوجة بعل تُسمَّى "بعلة" أو "عشتارت" أو "عشيرة" .

أما اسمه ، فقد ظهر بعدة صيغ من مثل: عليان بعل: القدير ، زبل بعل أرض: أمير بعل الأرض ، بعل عنت محرثت: بعل الأرض المحروثة ، زبل بعل غلم: الأمير بعل الشابّ[٧٤] ، أمّا صورته وهيئته بين التماثيل الكنعانية ، فقد كان واقفا يلوح بالصاعقة بيده اليمنى[٧٥] ، ومن هذا تتضح مرّة أخرى العلاقة القوية بين بعل والأرض؛ وكأن هذه الأرض باتت من اختصاصه في ريّها ونباتها وشجرها ، فهي تعتمد في شؤونها عليه ، ولا تعتمد على ما سواه وخصوصا الأرض المرتفعة[٧٦].

ثانيًا: بَعْل وهُبَل:-

ومما لا يخفى على ذي لُبّ أن العرب عبدت الأوثان حينًا من الدّهر ، أعلَت من شأن بعض آلهتها علوًّا كبيرًا ، وقد رأيت أن تقاربًا ملحوظًا ، اشتركت فيه الآلهة الوثنية ، على اختلاف أماكن تواجدها ، وبُعدها زمنيًا ، لذلك ارتأيت أن أوازن بين أوثان العرب ، وأوثان الكنعانيين ، وأول ما يمكن ملاحظته أن العرب قد استوردوا عبادة الأوثان من المؤابيين ، وذلك أن عمروَ بن لحي أوّلُ مَن أقدم الأصنام إلى أرض العرب ، قد أتى البلقاء من أرض الشام ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال: ما هذه؟ فقالوا نستسقي بها المطر ، ونستنصر بها على العدو. فسألهم أن يعطوه منها. ففعلوا ، فقدِم بها مكّة ونصَبها حول الكعبة[٧٧] ، وظهر اسم "هُبَل" أو" هُبَال" ، وصار كبير الآلهة ، ولم يذكر أحد تفسيرًا للفظ " هبل" في المعاجم اللغوية العربية بدءًا من الخليل ، وإنّما اكتفى بعض أصحاب المعاجم اللغوية بقوله إن: "هبل" اسم صنم كان في الكعبة لقريش ، وهو- أيضًا- اسم رجل ، معدول عن هابل[٧٨] ، وبعضهم لم يذكر عنه شيئا ولم يعدّه من ألفاظ الجذر ، فها هو ابن فارس يقول: الْهَاءُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ: فِيهِ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ ، تَدُلُّ إِحْدَاهَا عَلَى ثُكْلٍ ، وَالأُخْرَى عَلَى ثِقَلٍ ، وَالثَّالِثَةُ عَلَى اغْتِرَارٍ وَتَغَفُّلٍ.

الأُولَى الْهَبَلُ: الثُّكْلُ.

وَالثَّانِيَةُ الْمُهَبَّلُ: الرَّجُلُ الثَّقِيلُ الْكَثِيرُ اللَّحْمِ. قَالَ: وَالْهِبِلُ: الشَّيْخُ الْكَبِيرُ ، وَالظَّلِيمُ الْمُسِنُّ.

وَالثَّالِثَةُ قَوْلُهُمْ: اهْتَبَلَ الْغِرَّةُ ، إِذَا افْتَرَصَهَا. وَالْهَبَّالُ: الصَّيَّادُ يَهْتَبِلُ الصَّيْدَ يَغْتَرُّهُ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الذِّئْبُ هِبِلًّا ، لِأَنَّهُ يَحْتَالُ لِصَيْدِهِ وَيَهْتَبِلُهُ. وَأَمَّا الْمَهْبِلُ فَمُسْتَقَرُّ الْوَلَدِ مِنَ الرَّحِمِ ، وَهُوَ عِنْدَنَا مِنْ بَابِ الْإِبْدَالِ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ أَصْلُهُ مَحْبِلٌ[٧٩]. وربما يكون عدم وجوده في الجذر اللغوي؛ لأنه من الألفاظ الدخيلة المستوردة من خارج الجزيرة العربية ، وقد بقي محافظًا على تسميته الأصلية ، التي تعني البُخار أو الروح بالآرامية[٨٠] ، وهذا ما لا يذهب إليه الباحث ، بل يرى أن اللفظ مأخوذ من " بعل" وذلك أنه أخذ صفات البعل وشكله ، فأما من حيث صِفته ، فهو أعظم أصنام قريش ، التي كانت تلوذ به وتتوسل إليه؛ ليمنَّ عليها بالخير والبركة ، وليدفع عنها الأذى وكلَّ شرّ ، وصفاتُ الخير والبركة هي صفات البعل من حيث المطر والخير والعطاء ، وكان من صفاته أيضا الدفاع عن البشر والآلهة ، ورغم وجود أصنام أخرى لقريش في جوف الكعبة وحولها؛ إلاّ إن هبل هو المقدم والمعظم عندها على الجميع ، وكان الصنم الأكبر في البيت.

ويرى الباحث أن يولي الشكل عناية لِما له من علائق تثري الفكرة التي بصددها ، فقد جُعل من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش كذلك ، فجعلوا له يدًا من ذهب[٨١] ، وهو بهذا أخذ شكل "البعل" ، أمّا بقية آلهة العرب ، فلم تكن كلها على شكل إنسان؛ وذلك أن العرب استهترت في عبادة الأصنام فمنهم من اتخذ بيتًا ، ومنهم من اتخذ صنمًا ، ومنهم من اتخذ شجرة ، ومن لم يقدر عليه ، ولا على بناء بيت ، نصب حَجَرًا أمام الحَرَم ، وأمام غيره مما استحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت ، وسموها الأنصاب [٨٢] ، ويرى الباحث أن يَدَ هُبل الناقصة ، قد تكون يده اليمنى التي كانت تحمل الصاعقة(السلاح) قد كُسرت أثناء نقله من الشام إلى مكة.

وعلى هذا فإن الرّجل قد جاء بـ"بعل" بصفاته المعروفة عند أهل الشام وباسمه أيضًا ، وليس هذا ببعيد إذا ما علمنا أن علماء اللغات

---

٧٤) http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B9%D9%84#.D8.A7.D9.84.D8.A5.D9.84.D9.87_.D8.A8.D8.B9.D9.84

٧٥) انظر: الفيومي ، "تاريخ الفكر الديني" ، ص ٦٠

٧٦) انظر: الفيومي ، "تاريخ الفكر الديني" ، ص ٥٩.

٧٧) ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد ، ت ٢٠٤هـ ، (٢٠٠٠م) ، "كتاب الأصنام" ، تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، ط٤ ، ص٨

٧٨) انظر: ابن منظور ، "لسان العرب" ، مادة "هبل" ؛ عمر ، أحمد مختار عبد الحميد ت: ١٤٢٤هـ ، بمساعدة فريق عمل ، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) ، "معجم اللغة العربية المعاصرة" ، عالم الكتب ، ط ١ ، ج ٣ ص ٢٣٢١.

٧٩) ابن فارس ، أحمد ، ت: ٣٩٥هـ ،(١٤١١هـ– ١٩٩١م) ، "معجم مقاييس اللغة" ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، هبل ،ج٦ ص ٣١.

٨٠) انظر: عبّودي ، "معجم الحضارات السامية" ، ص ٨٨١.

٨١) ابن الكلبي ، "كتاب الأصنام" ، ص٢٨

٨٢) ابن الكلبي ، "كتاب الأصنام" ، ص٣٣

السامية يرون أن أداة التعريف الأصلية في السامية الأم كانت الهاء واللام أو الهاء والنون[٨٣]. كما أنّ أداة التعريف في السامية الأم هي (الهاء واللام)[٨٤] وليست "أل" ، فصار الاسم معرّفًا "هابعل" ، ثم حذفت العين تسهيلا فصارت هبل. - و هنا لم أقصد لَيَّ النصّ أوتحميله ما لا يحتمل انتصارًا لما أرى ، بل هو مجرد رأي يحتمل الصواب والخطأ.

الخاتمة والنتائج:

ومما بدا لي في هذا البحث أن لفظ البعل جِدُّ قديم ، قُدْمة الإنسان نفسه ، وقد توزعّت دلالة اللفظ على ثلاثة أثافي لا تنفك إحداها عن الأخرى ، فالأولى أطلقت على الإله الكنعاني " بعل" ، والثانية: اختصت بالرجل والعلاقة الجنسية ، والثالثة: التصقت بالأرض التي تعتمد في ريّها على السماء.

النتائج:

أطلق لفظ البعل على أحد آلهة الكنعانيين.

انتقلت الدلالة من (البعل) الإله الكنعاني إلى الرجل والأرض لارتباطها الوثيق به.

أضفى القرآن الكريم دلالة خاصة على البعل(الرجل) فجعلها مقترنة بالعلاقة الجنسية ، المعلّقة بين الرجل وامرأته.

الرجل البعل مختلف عن الرجل الزوج ، وبالتالي لا يمكن أن تكون إحدى الكلمتين(بعل ، زوج) مرادفة للأخرى.

ظهرت الدلالة الموحية بالجنس على البعل في النصوص اللغوية الشعرية والنثرية.

استيراد الآلهة الكنعانية بأسمائها وصفاتها إلى مكة ـ أدى إلى ظهور أسماء في الحيّز اللغوي، ولم يفسرها أحد من اللغويين.

المصادر والمراجع:

الأزهري ، أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد ، ت ٣٧٠هـ ،(١٩٧٥-١٩٧٦) "**تهذيب اللغة**" ، تحقيق ، عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب.

أنيس ، إبراهيم وآخرون ،(د.ت) ،"**المعجم الوسيط**" ، دار الدعوة.

برجستراسر ،(١٩٩٤م) ،" **التطور النحوي للغة العربية**" ، تقديم وتعليق: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٢.

البغوي ، مُحَمَّد بن الحسين ، ت:٥١٠هـ ،(١٤٢٠هـ) ،"**معالم التنزيل في تفسير القرآن**"= "**تفسير البغوي**" ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١.

البلخي ، مقاتل بن سليمان ، ت:١٥٠هـ ،(١٤٢٣هـ) ،"**تفسير مقاتل**" ، تحقيق: عبدالله محمود شحاته ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١.

البهوتى ، منصور بن يونس الحنبلي ،ت: ١٠٥١هـ ،(١٤١٧هـ) ، "**الروض المربع شرح زاد المستقنع**" ، ومعه حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي. خرج أحاديثه: عبد القدوس مُحَمَّد نذير ، دار المؤيد ، مؤسسة الرسالة ، ط.

ابن تاج العارفين ، زين الدين مُحَمَّد المدعو بعبد الرؤوف ، ت: ١٠٣١هـ ،

(١٤١٠هـ-١٩٩٠م) ،"**التوقيف على مهمات التعاريف**" ، عالم الكتب القاهرة ، ط١.

الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد ، ت ٣٩٣هـ ،(١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) ،" **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**" ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤.

حداد ، حسني ، ومجاعص ، سليم ،(١٩٩٥م) ،" أناشيد البعل قراءة جديدة للأساطير الأوغاريتية" ، دار أمواج ، بيروت ، ط١.

[٨٣] انظر: عبد التواب ، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي" ، ص٢٤٢

[٨٤] عبد التواب ، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي" ، ص٢٤٢.

حجازي ، محمود فهمي ،(دط ، دت) ،"**علم اللغة العربية**" ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة.
الحطيئة ، جرول بن أوس ، ت:٤٥هـ ، (١٩٨٧م) ،"**ديوان الحطيئة**" ، برواية ابن السكيت ،(ت:٢٤٦هـ) ، تحقيق: نعمان مُحَمَّد أمين طه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١
الخطابي ، أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد البستي ، ت ٣٨٨ ،(١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ،" **غريب الحديث**" ، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي ، دار الفكر ، دون طبعة.
ابن دريد ، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن ، ت ٣٢١هـ ،(١٩٨٧م) "**جمهرة اللغة**" ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط١.
الرازي ، أبو عبدالله مُحَمَّد بن عمر ، ت:٦٠٦هـ ،(١٤٢٠هـ) ،" **مفاتيح الغيب**"= "**التفسير الكبير**" ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣
الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، ت ٥٣٨هـ ،(د.ت) " **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**"، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف ، ت: ٧٥٦هـ ، (١٤١٧هـ – ١٩٩٦) ،"**عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**" ، تحقيق:مُحَمَّد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١.
ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، ت: ٤٥٨هـ ،(١٤١٧هـ – ١٩٩٦م) ،"**المخصص**" ، تحقيق ، خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١.
الضبي ، المفضل بن مُحَمَّد بن يعلى بن سالم ،ت نحو ١٦٨هـ ،(د.ت) ،"**المفضليات**" ، تحقيق وشرح: أحمد مُحَمَّد شاكر و عبد السلام مُحَمَّد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٦.
الطبري ، مُحَمَّد بن جرير ، (٢٠٠١م) ، "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**" ، تحقيق: عبدالله عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر ، ط١.
عبدالتوّاب ، رمضان ،(١٩٩٧م) ، "**المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**" ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣.
عبدالجليل ، عمر صابر ،(١٩٩٠م) ،"**أسماء الأعلام السامية**" ، دار الثقافة العربية ، القاهرة.
ابن العبري ، غريغوريوس (يوحنا) ابن أهرون (أو هارون) بن توما الملطي ، أبو الفرج ، ت: ٦٨٥هـ ، (١٩٩٢) ، "**تاريخ مختصر الدول**" ، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الشرق ، بيروت ، ط٣.
عبّودي ، هنري ،(١٩٩١) ، "**معجم الحضارات السامية**" ، مطابع جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، ط٢.
العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ، ت بعد ٣٩٥هـ ،(١١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) ،"**الفروق اللغوية**" ، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط.
عمر ، أحمد مختار عبد الحميد ت: ١٤٢٤هـ ، بمساعدة فريق عمل ،(١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) ،"**معجم اللغة العربية المعاصرة**" ، عالم الكتب ، ط ١.
الفارابي ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين ت ٣٥٠هـ ،(١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) ، "**معجم ديوان الأدب**" ، تحقيق : أحمد مختار عمر ، مراجعة: إبراهيم أنيس ، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ، القاهرة.
ابن فارس ، أحمد ، ت: ٣٩٥هـ ، (١٤١١هـ– ١٩٩١م) "معجم مقاييس اللغة" ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط١.
الفحل ، علقمة بن عبدة بن ناشرة ، (ت: ٢٠ق.هـ) ، **شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل** ، الأعلم الشنتمري ، قدّم له ووضع فهارسه وهوامشه ، حنّا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م
الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ت ١٧٥هـ ، (١٤١٤هـ) ، "**ترتيب كتاب العين**" ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، تصحيح: أسعد الطيب ، منشورات انتشارات اسوه ، إيران ، ط١ .
الفيروزابادي ، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب ، ت:٨١٧هـ ،(دون تاريخ أو طبعة) ،" **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**" ، تحقيق: مُحَمَّد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت.
القرطبي ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد ، ت٦٧١ هـ ،(٢٠٠٣ م)"**الجامع لأحكام القرآن**" ، تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض.
ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن مُحَمَّد ، ت ٢٠٤هـ ، (٢٠٠٠م)كتاب الأصنام ، تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، ط٤.
كمال الدين ، حازم علي ،(٢٠٠٨) ، "**معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية**" ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١.
ابن منظور ، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ، ت: ٧١١هـ ،(١٤١٩هـ – ١٩٩٩م) "**لسان العرب**" ، تصحيح: أمين عبد الوهاب و مُحَمَّد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط ٣.
ابن نجيم المصري ، زين الدين بن إبراهيم بن مُحَمَّد ، ت: ٩٧٠هـ ،(د. ت.)"**البحر الرائق شرح كنز الدقائق**" ، وفي آخره ، تكملة البحر الرائق ، لمحمد بن حسين بن علي الطوري ، ت بعد ١١٣٨ هـ ، وبالحاشية: "منحة الخالق" ، لابن عابدين ، دار الكتاب الإسلامي ط٢.
الهروي ، أبو سهل مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد ، ت: ٤٣٣هـ ،(١٤٢٠هـ) "**إسفار الفصيح**" ، تحقق: أحمد بن سعيد بن مُحَمَّد قشاش ،

منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، السعودية ، ط١.

الهلالي ، حميد بن ثور ، (١٩٥١) ،"**ديوان علقمة بن ثور الهلالي**" ، تحقيق: عبدالعزيز الميمني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.

وافي ، علي عبد الواحد ،(٢٠٠٤م) ، **"فقه اللغة"** ، نهضة مصر ، القاهرة ، ط٣.

الانترنت:

- ✓ **الموسوعة الفقهية ، رقم الفتوى:٥٦٦٠٤ http://www.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=162065**
- ✓ http://www.linga.org/Bible-Names/Meaning-76 ، **أسماء الكتاب المقدس.**
- ✓ http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B9%D9%84#.D8.A7.D9.84.D8.A5.D9.84.D9.87_.D8.A8.D8.B9.D9.84
- ✓ http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B9%D9%84#.D8.A7.D9.84.D8.A5.D9.84.D9.87_.D8.A8.D8.B9.D9.84

The Lexicon of " Bael" in the Ancient Language Books

Abstract

The researcher aimed in this study to read the lexicon " Bael" and to track the semantics of this lexicon in ancient language books. In doing so, the researcher tracked this lexicon in language dictionaries, in the Holy Quran and in the ancient Arab poetry, starting from the old books to the contemporary ones. The researcher used a set of evidences to confirm the conclusions of the study in his attempt to elicit the study of semantics from the outer approaches of language, and to make this study observable and objectively analyzed. The researcher depended on the linguistic context for the lexicon. This includes the form of lexicon within the sentence in the syntagmatic relation in the different types such as the constant structures, and the prepared phrases and al linking two or more words in a specific context such as name and letter, the addition and the additive.

Nonetheless, the researcher did not ignore the context of situation within the contextual semantic theory as it is the outer frame for the actual production of speech in the language community. The study leaned on two approaches: the historical and contrastive while identifying the lexicon semantics in the Semitic languages, in addition to addressing this lexicon in the historical books. This included locating some examples for the use of this lexicon in other languages (other than Arabic). The researcher concluded that it is beneficial to mention the names added to the lexicon Bael and to mention the structured names derived from Bael. The researcher noticed the close relationships in the use of Bae and Hubal in the various contexts and worked on identifying the close relationship between them

Key words: Bael, Hubal, Language semantic, Canaanites Gods, Equivalence